

الدكتور حسين بن عبد العزى

الأمراء، العبيد والمماليك في اليمن

بحث تاريخي مقارنة بين الشرق والغرب
حتى القرن العشرين



دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

قائمة

المكتبة التاريخية اليمنية

<https://m.facebook.com/Yemeni.historical.library>



الأمراء البعيد والماليين في اليمن



الدكتور حسين بن عبد العزى

الأمراء العبيد والمماليك في اليمن



بحث تاريخي مقارنة بين الشرق والغرب
حتى القرن العشرين

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان



الكتاب ٧

الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من دار الفكر المعاصر

لبنان - بيروت - ساقية الجنزير ، خلف الكارلتون ، س.ت ٥١٤٩٧
ص . ب (١٣٦٠٦٤) هاتف (٨٦٠٧٣٩) تليكس : LE 44316 FIKR

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

إذا كان لابد من مقدمة لهذا الكتاب - كما هي العادة - فليس ذلك إلاّ لإيضاح أمرين ، أحدهما يتعلق بإخراجه في إطاره الحالي ، والآخر إشارة عامة إلى قُصور الدِّراسات العَرَبِيَّة الحديثة في موضوع الرّق والرّقيق .

لقد كان الكتابُ بفصوله الأولى مُساهمةً في مُجلد ضخم عن اليمن صدرَ في ألمانِيّة الاتحادية في ربيع العام الماضي باللغتين الألمانية والإنجليزية بعنوان (اليمنُ ثلاثة آلاف عام من الحضارة والفن)^(١) شارك في تحرير أبحاثه أكثر من ثلاثين عالماً وباحثاً من عَرَبٍ ومُسْتَعَرَبِينَ .

ولما أردتُ إخراجه كتاباً وجدتُ أنه غير مُوفٍ بالغَرَض مالم يستكمل من الناحية التاريخية (حيث توقف البحث عند مطلع القرن الماضي) ، فتم وصله بتاريخنا المعاصر - إلى بعد عقد - من إعلان اليمن عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م منع تجارة الرّقيق وتحريم الرّق ، وهو أمر أحسب أنه مجهول ، فجري معالجة ذلك في الفصل الأخير .

Yemen: 3000 Years of Art and Civilisation In Arabia Felix, etited by: (١)

Werner Daum, Published by: Pinguin-Verlag, Frankfurt, (1988).

ولما كان مدخل الموضوع إشارة مختصرة إلى نظرة الإسلام السامية إلى الرقيق ، وحثه على التحرير (العتق) ليأتي يوم يتم فيه تخلص المجتمع الإنساني من هذه الظاهرة ، فقد جرى إضافة فصل عن الرق والرقيق في عالم الغرب للمقارنة بين عالمين ، عالم إسلامي وعالم غير إسلامي . رفع الإسلام في أولهما من قيمة الإنسان ، حرّاً كان أو رقيقاً ، فتبوأ العبيد فيه أعلى المناصب وأسس بعضهم الدول ، كما ساهم كثير منهم في مختلف نواحي الحياة العلمية والسياسية والعسكرية ، بينما تهادى العالم الآخر (الغرب) في استعباد شعوب كاملة ، استمر في انتزاع شبابه طيلة القرون الحديثة للعمل رقيقاً في الأرض والمناجم والمصانع في العالم الجديد (أمريكا) ومستعمرات أوروبا ، في ظل أوضاع نأت بجانبها عن أي معنى من معاني الإنسانية ، ووضعت في ذلك قوانين خاصة عرفت (بالقانون الأسود)^(١) ورغم عصر التنوير والآراء الإصلاحية ، ودعوة الثورة الفرنسية (١٧٨٩ م) إلى الحرية والأخوة والمساواة ، فقد وافق ذلك التسابق الأوروبي الاستعماري ، الذي مثل شكلاً آخر من الاستغلال للإنسان والثروات ، وخلف آثاره المعروفة حتى عالم اليوم . ورغم مبادئ القرن العشرين وإعلان (حقوق الإنسان) فقد بقيت ممارسة التفرقة العنصرية في أفريقية وأمريكا كابوساً مؤرقاً للضمير الإنساني ، بعد القضاء على الرق التقليدي وأشكاله القديمة والحديثة ، ومُروّر زمن طويل على إعلان مبادئ حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، وغير ذلك من

(١) راجع (ص ٧٩ من الكتاب) .

معاني الحرية والتحرر التي ناضلتِ الشُّعوبُ من أجلها ، وصَبَّغتُ بها
تاريخَ العَصْرِ الحَدِيثِ والمُعَاصِرِ .



يعالجُ كتابنا حالةَ الأمراء العبيدِ والمَمَالِيكِ في اليَمَنِ ، في نَظَرَةِ
تاريخيةٍ خاصَّةٍ باليَمَنِ مُنْذُ فَجْرِ الإسلامِ حَتَّى عَصْرِنَا الحَدِيثِ . تناولنا
فيها ما هو ضروري من ربط ذلك بالإطار التاريخي العام ، الإسلامي
والعالمي ، دُونَ حاجةٍ لكثير من التَّفصيل التي لا تستوعبها إلا دراسات
وأبحاثٌ مُستفيضة . ذلك أن موضوع (الرِّق والرَّقِيق) في التاريخ العربي
والإسلامي من الأمور التي لا أَحْسَبُ أن أحداً يَجهل مَدَى غَزارة مادتها
وتَنوعها في أَمْهاتِ كُتُبِ التَّاريخ والأدبِ ومَصَادِرِ التُّراثِ العَرَبِيِّ ، غير
أن الدراسات والكتب العربية الحديثة مازالت محدودة نهضتُ بها جهودٌ
مشكورة لنفيرٍ أفاضلٍ لا يتجاوزُ عددهم - فيما أعلم - أصابعَ اليَدِ الواحِدَةِ
عدداً^(١) . وإنه مما يلفتُ النظر حقاً هذا القصور مع غزارة المادة - كما هو في
حقول أخرى - مُقارنةً بتلك الدراسات والإحاطة التاريخية والفلسفية

(١) من ذلك : (الرق في التاريخ والإسلام) لمصطفى الجداوي / الإسكندرية ١٩٦٣ ،
و (الرق ماضيه وحاضره) للدكتور عبد السلام الترماني (سلسلة كتب عالم
المعرفة / الكويت / ط ٢ ، مزينة ومنقحة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥) ، وللدكتور محمود
المقداد (الموالي ونظام الولاء ، من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي) ، دمشق / دار
الفكر ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، وهي رسالة جامعية جيدة في بابها وأكثر شمولاً وحدثاً
من كتاب صدر في القاهرة عام ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م للأستاذ محمد الطيب النجار
بعنوان (الموالي في العصر الأموي) .

والاجتماعية والقانونية (الفقهية) والسياسية وغير ذلك من الجوانب التي عالجها الباحثون والعلماء في الغرب من وقت مبكر وحتى اليوم .

إن نظرة سريعة إلى المصادر والمراجع التي تُذيلُ بها الموسوعات الأوروبية والأمريكية^(١) بما فيها موسوعتهم الإسلامية ، لمادة رقّ أو عبْد Slave أو ماله علاقة في الموضوع من تشريع أو تاريخ ، يُغني عن تقصي مثل ذلك في الكتب والدراسات المُختصة الكثيرة .

وهكذا فَمَعَ الأمل أن يؤدي هذا البحثُ المتواضعُ عن الين بعض الغاية المرجوة ، رغم كلّ القصور ، فالأمل كذلك أن نرى قريباً المزيد من الدراسات والبحوث المتخصصة بما يُثري المكتبة العربية ، فلا زال المجال ذا سعة ، بكل أبعاده سواء في الإطار المحلي أو القومي أو العالمي .

ومن الله يُطلب العون ، وهو من وراء القصد

د . حسين بن عبد الله العمري

صنعاء ٢٧ شوال ١٤٠٩ هـ

الموافق أول يونيو (حزيران) ١٩٨٩ م

(١) راجع قائمة المصادر بآخر الكتاب .

الأمراء العبيد والمماليك في اليمن

- ١ - الإسلام والرق (العبودية) .
- ٢ - العبيد بين عصرين « الوسيط والحديث » .
- ٣ - نفوذ المماليك والعبيد في دولتي بني رسول وآل طاهر .
- ٤ - الأمراء العبيد في العصر الحديث (في اليمن) .
- ٥ - تجارة الرقيق بين الغرب والشرق (حتى نهاية القرن التاسع عشر) .
- ٦ - العبيد في اليمن حتى تاريخ تحريم تجارة الرقيق رسمياً (عام ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م) .
- ٧ - المعاهدة اليمنية - البريطانية (وثائق الرسائل المتبادلة بتحريم الرق) .

١ - الإسلام والرقّ

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، وَلَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، وَلَا عَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . »

(حديث شريف)

☆ ☆ ☆

« مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَاراً »

(عمر بن الخطاب)

(١) الإسلام والرق (العبودية)

كان مجتمع مكة ، شأنه شأن المجتمعات العربية في القرن السادس الميلادي ، يقر ملكية الرقيق والتعامل معهم سلعة تباع وتشترى في أسواق النخاسة المنتشرة في حواضر الجزيرة العربية ومدن الشام والعراق ومصر ، شأنها في ذلك شأن الدول القديمة (كالإغريق والرومان) والمعاصرة لها في ذلك الزمن كالفرس وبيزنطة .

ولما جاء الإسلام كان من أهدافه السامية تأكيد إنسانية كل البشر ، وأنه لا فرق بين شعب وآخر « أبيض أو أسود » ولا فضل لقبيلة على أخرى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣/٤٩] .

وفي القرآن الكريم ما لا يقل عن أربع آيات بحث فيها على العتق والتحرير ، مشيراً إلى ذلك بـ « فَكَّ رَقَبَةٍ » أو « تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ » للتعبير عن مدى ثقل القيد الشديد على الإنسان في تكبيل حريته كما لو كان ذلك غلاً قيّد به عنقه ، وقد أشارت تلك الآيات إلى المناسبات الكثيرة التي يمكن التحرير فيها تقرباً إلى الله وكفارة عن أخطاء أو زلات ، ككفارة الظهار^(١) [المجادلة : ١٣/٥٨] ، والقَتْلُ الْخَطَأُ ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ

(١) الظهار : ظاهر الرجل امرأته ، أي قال لها : أنت عليّ كظهر أمي : أي أنت عليّ حرام وكان هذا طلاقاً في الجاهلية ، فنهى عنه الإسلام (القاموس) .

مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ ﴿ [النساء : ٩٢/٤] ، وَكَفَّارَةُ الْيَمِينِ [المائدة : ٨٩/٥] .

أما في الحديث الشريف فهناك أحاديث كثيرة من أَصَحِّهَا قَوْلُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ : « أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ »^(١) ، وقد دفعَ هذا الحديثُ وغيره عدداً من المُسْلِمِينَ إِلَى تَحْرِيرِ عبيدهم تقرباً إِلَى اللَّهِ .

وهذا غيرُ ما كان يصنعه الصَّحَابَةُ الْأَوَائِلُ مِنْ شِرَاءِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ أَعْلَنُوا إِسْلَامَهُمْ وَتَحْرِيرِهِمْ ، مِثْلَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ بِالْعِتْقِ عِنْدَ كُلِّ ظَاهِرَةٍ تَسْتَحِقُّ إِظْهَارَ الْخُضُوعِ لِلَّهِ وَتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ ، كَأَمْرِهِ « بِالْعِتَاقَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ » « وَعِنْدَ الْخُسُوفِ »^(٢) .

وَإِذْ حَسَمَ الْإِسْلَامُ مَسْأَلَةَ عَدَمِ جَوَازِ عِبُودِيَةِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي لَمْ يُسْلِمْ بِتَرْكِهِ عَلَى دِينِهِ - كغیره من الشعوب الأخرى - إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَعَ دَفْعِ الْجِزْيَةِ لِبَيْتِ الْمَالِ أَوْ الْإِسْلَامِ لِلوُثْنِيِّينَ أَوْ حَدِّ السِّيفِ ، فَقَدْ تَرَكَ الْبَابَ مُشْرَعًا لِاجْتِهَادِ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ الَّذِينَ كَتَبُوا فِيهِ فُصُولًا وَأَبْوَابًا لَا يَخْلُو مِنْهَا كِتَابٌ فِي فَنِّ الْحَدِيثِ أَوْ الْفَقْهِ ، تَدْعُو كُلُّهَا إِلَى التَّحْرِيرِ وَتُحِبُّ إِلَيْهِ ، وَتَضَعُ الْحُدُودَ وَالْقَوَاعِدَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالْآدَابِ الْعَامَةِ فِي التَّعَامُلِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَخِيهِ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ^(٣) .

(١) صحيح البخاري : (٤٩ كتاب العتق ، باب في العتق وفضله) .

(٢) انظر : ابن حجر (فتح الباري شرح صحيح البخاري) ١٥٠/٥

(٣) انظر على سبيل المثال : ابن حجر (فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب العتق) : =

وقد ارتقى الإسلام بمفهوم الرّق عن ذلك الذي كان شائعاً ومألوفاً في الشرق أو الغرب من قَبْلُ ، فكان وضع بعضهم الاجتماعي أفضل من غيرهم من سائر الطبقات ، كما كانت أمهاتُ بعض الخلفاء ومن بعدهم سلاطين العثمانيين من الإماء ، ونهض بعضهم بأدوار هامة ، منها تسنّم مناصب الوزارة والإمارة ، وأسس بعضهم دولاً . والرّق بشكل عام عند المسلمين ، كما يرى بحق جوستاف لوبون (ت ١٩٣١) :

« عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرُهُ عِنْدَ النَّصَارَى فِيمَا مَضَى ، وَأَنَّ حَالِ الْأَرْقَاءِ فِي الشَّرْقِ أَفْضَلُ مِنْ حَالِ الْخَدَمِ فِي أَوْرَبَةِ ، فَالْأَرْقَاءُ فِي الشَّرْقِ يُؤَلَّفُونَ جُزْءاً مِنَ الْأَسْرِ ، وَيَسْتَطِيعُونَ الزَّوَاجَ بَيْنَاتِ سَادَتِهِمْ أحياناً - كما رأينا ذلك سابقاً - وَيَقْدِرُونَ أَنْ يَتَسَنَّمُوا أَعْلَى الرُّتَبِ ، وَفِي الشَّرْقِ لَا يَرُونِ فِي الرِّقِّ عَاراً ، وَالرَّقِيقُ فِيهِ أَكْثَرُ صِلَةٍ بِسَيِّدِهِ مِنْ صِلَةِ الْأَجِيرِ فِي بِلَادِنَا »^(١) .

= ١٤٦/٥ - ١٨٣ ، و (صحيح مسلم) . ومن كتب الفقه : كتاب (الأم) للشافعي ، و (شرح الأزهار) لابن مفتح (كتاب العتق) ٥٥٩/٣ - ٥٨٨ ، (السيل الجرار) للشوكاني : ٣٦٧/٣ - ٣٨٣ ، ومن الدراسات الحديثة المفيدة في الموضوع بشكل عام كتاب د. محمود المقداد (الموالي ونظام الولاء من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي) دار الفكر / دمشق ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨

(١) لوبون (جوستاف) : حضارة العرب ، تعريب عادل زعيتر ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص : ٣٧٦ ؛ وحول نفس الفكرة ، راجع كتاب (المجتمع الإسلامي والغرب) للمستشرقين هاملتون جب H. Gibb وهارولد بون H. Bowen ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى / دار المعارف بمصر (١٩٧٠ م) : ٦٠/١

ولأهمية الآراء الفقهية المختلفة عن (العبودية والعتق وما يتعلق بها) انظر : الفقه الإسلامي وأدلته ، للدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر / دمشق : =

إن الخبر الآتي الذي نقلته لنا كتب التاريخ ، خير مثال لنظرة الإسلام إلى الرقيق ، ونموذج نادر للتعامل الإسلامي الإنساني بين المالك ومولاه ؛ فقد روي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لما سافر من المدينة إلى يثيث المقدس التي فتحها المسلمون ، كان يُداولُ يثيئه ويثينَ (عبده) في الركب على راحلته ، حتى إنه وصل وكان الراكب غلامه ، وأمير المؤمنين ساعياً خلفه ! فخشي أبو عبيدة بن الجراح أن يحتقره الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين أراك تصنعُ أمراً لا يصحُّ ، فإن الأنظارَ إليك ! فقال عمر : لم يقل ذلك أحدٌ قبلك ، وهذا يُوجب اللعنة على المسلمين !..^(١)



= ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م : ٤٩٨-٤٩٧/٣ ؛ ٣٨٨/٤ ، ٥١٩ ؛ ٤٣٠/٦ ، ٤٤٤ ، ٥٦١ ؛

٨٥-٧٥/٧ ؛ ٣٥٠ ، ٣٥٦ ؛ ٤٤٢ ؛ ٤٦٤ ؛ ٥٤٠ ؛ ٦٠٨ ؛ ١٩١/٨ ؛ ٣٥٩ ؛ ٢٨٢ ؛ ٣٣٢

(١) (انظر : دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي / ط ٣ : ٢٨١/٤) .

٢ - العبيد بين عصرين

(الوسيط والحديث)

لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَى مَعَهُ إِنَّ الْعَبْدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاقِيْدُ !

(المتنبي)

« يَرْفَعُ السِّيفُ بَعْدَ الْفَتْحِ ؛ وَقَالَ لِلْجَيْشِ :
اعْلَمُوا أَنَّ عَرَبَ هَذِهِ التَّهَائِمِ يَسْتَوْلِدُونَ الْجَوَارِي
السُّودَ ، فَالْجُلْدَةُ السُّودَاءُ تَعْمُ الْعَبْدَ وَالْحَرَّ ،
وَلَكِنْ إِذَا سَمِعْتُمْ مَنْ يُسَمِّي (الْعِظْمَ) (عَزْمًا)
فَاقْتُلُوهُ فَهُوَ حَبَشِي ، وَمَنْ سَمَاهُ (عِظْمًا) فَهُوَ
عَرَبِي فَاتْرَكُوهُ ! » .

المكرم بن علي الصليحي

(٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م)

(٢) العبيد بين عصرين

« الوسيط والحديث »

لا تبدو الإطالة أو التقصي في هذا المدخل ضروريين لموضوعنا إلا بالقدر الذي يسمح لنا بإيضاح بعض الحوادث ، وانتزاع بعض الصور في مجمل السياق التاريخي العام حتى نصل إلى العصر الحديث . ولعل القارئ الكريم يتذكر - بادئ ذي بدء - أن وجود العبيد والأحايش منهم بالذات ، وهم الغالبية العظمى ، يرجع إلى تاريخ قديم قدم العلاقات التاريخية بين اليمن والحبشة ، ولعل أقرب ما يتبادر إلى الذهن أن آخر ملوك اليمن قبل الإسلام القليل المشهور سيف بن ذي يزن قد قتله عبده الأحباش سنة ٥٧٤ م انتقاماً - كما قيل - من استعانت به بالفرس لتحرير وطنه من الاحتلال الحبشي الثاني (٥٢٥ - ٥٩٥ م)^(١) .

ولما جاء الإسلام كانت حال العبيد في اليمن وأوضاعهم كغيرهم في العالم العربي والإسلامي حيث جرى التعامل معهم وفق ما تقتضيه الشريعة الإسلامية وأحكام الدين الجديد مع الظروف والمستجدات التي شملت عناصر وشعوباً أخرى لم يسبق للعرب التعامل معها بل وحكمها . وقد

(١) راجع : تاريخ الطبري (دار المعارف) ١٠٥/٢ - ١٥٤ ، كتاب التيجان لوهب بن منبه (ط الهند) : ٢٠٦ ، كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ٦٦٢٠/١٩ - ٦٦٤٩ ، عاقل (د . نبيه) تاريخ العرب القديم وعصر الرسول : ١٠٥ . وفي تاريخ صنعاء (ص : ٢٣٥) والإكليل ١١٥/٨ : أن الذي بنى (سد الخائق) بصعدة نوال بن عتيك غلام (مملوك) سيف بن ذي يزن .

استُحدثَ معنىٌ حديثٌ في اللغة العربية للفظة (مَوْلَى) وجمعه (مَوَالٍ)
لتتخذ بعد الإسلام غير معانيها الأخرى (كالقريب - ابن العم والعم - أو
النصير) فبات المَعْتَق أو المَحَرَّر يدعى (مولى) أيضاً ، وسُمِّي بذلك
« لأنه يُسلم على يَدِ مالِكِه ويُوَالِيه » أو « لأنه يَنْزِل منزلة ابن العم ،
وتجب نصرته وترثه إن مات ولا وارث له » كما في قول آخر^(١) ، ويقال
كذلك للمُعْتِق (السيد) « مَوْلَى » أو « مَوْلَى النعمة » .

ومع استمرار وجود عبيدٍ في خدمة البيوت أو الأمراء ، فقد عُرِفَ
المَحَرَّرُون منهم « بالموالي » ، ومنهم « مَوَالِي بَنِي هَاشِم » أي عتقاؤهم .

ومع امتداد رقعة بلاد الدولة العربية واتساعها لم يقتصر العبيد أو
الموالي على جنس بعينه كالزنج أو الأحباش - وهو السائد في الين - بل
تكاثرت عناصر الأتراك ، والشركس ، والمغول ، وغيرهم ممن ظهر نفوذهم
وأخذ يتنامى منذ العصر العباسي^(٢) ، كما تطور نظام « الموالي » ليكونَ
منهم « المماليك » الذين تمكَّن بعضُ زعمائهم من حُكم مِصرَ ، والشام ،
والحجاز من منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ووصل سلطانهم إلى الين
قبل أن يقضي على حكمهم السلطان العثماني سليم عام ١٦ - ١٥١٧ م
بقليل .

ولعلَّ أولَ مَوْلَى حكمَ اليَمَنَ هو حَمَّادُ البَرْبَرِي مولى الخليفة العباسي
هارون الرشيد الذي حكم نحو عشر سنوات (١٨٤ - ١٩٣ هـ) وعُرِفَ

(١) لأن العرب « مولى » .

(٢) انظر : (ظهر الإسلام) لأحمد أمين ، الباب الأول ، سكان المملكة الإسلامية : ٩٣/٣

بالشدة والقسوة ، وقضى على بعض الثورات المحلية ؛ فاستقر الأمن والسلام في ربوع الين^(١) . وبعد قرن كامل ضعفت في آخره سيطرة بغداد على الين وتنازعتها عدة قوى متصارعة كان بعضها متحالفاً أحياناً وأهمها (بنو يعفر الحواليون ٢٢٥ - ٣٩٣ هـ / ٨٣٩ - ١٠٠٣ م) في شام وصنعاء ، وبنو زياد ٢٠٥ - ٤١٢ هـ / ٨٢٠ - ١٠١١ م في تهامة زبيد ، وعلي بن الفضل الخنفرى القرمطي (ت ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م) في الين الأسفل (مذخرة) ، والهادي يحيى بن الحسين الرّسي (٢٤٥ - ٢٩٨ هـ / ٨٥٩ - ٩١٠ م) مؤسس دولة الأئمة الزيدية في (صنعاء) وبعد خروجه منها تركز في صعدة .

لقد كان الأمير أسعد بن أبي يعفر أبرز أمراء الدولة اليعفرية ، وحين كان في عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م في صنعاء والهادي في صعدة ، استنجد أميران من آل يعفر^(٢) بالهادي يحيى بن الحسين عن طريق الزعيم القبلي الكبير الدّعام بن إبراهيم ليحاربَ معها « عبيدهم » بعد وقوع الخلف بينهم « على أن يسلموا إليه ما في أيديهما » وقد طلب الهادي موثيق ابني يعفر فأخذها الدّعام وجّهز الهادي ، فغادر صعدة ومن معه حتى وصل ريدة - بلدة معاصره العلامة الهمداني - على بعد نحو ٧٠ كم شمال صنعاء ، والتقى بابني يعفر في البؤن على مقربة من ريدة ، فأخذ عليها الأمان

(١) تاريخ صنعاء للرازي : ١٠٧ - ١١٠ ؛ وراجع : ابن الأثير ١٦٦/٦ و ٢٠٥ ، باخرمة :

تاريخ ثغر عدن ٦٤/٢

(٢) لم يذكر المصدر (الآتي) اسميهما .

والعهود على أن يسيرَ معها الهادي والدَّعَام إلى « ناحية صنعاء »^(١) بيد أن الهادي وهو في طريقه تقاتل مع بعض القبائل في منطقة أَرْحَب ، وهاجمه آلُ طريف فترَاجع إلى « وَرُور » الذي لا يَبْعُد كثيراً عن رِيْدَة بعد أن أسَرَ ابنه وآخرون « وَمَضَوْا بِهِمْ حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ صَنْعَاء ، وَطَافُوا بِهِمْ فِي الْأَسْوَاقِ »^(٢) ولم يَعُْدْ لقضية عبيد آل يَعْفَر ذكر ، بل يبلغ الهادي وهو في « وَرُور » خبرَ قُدوم مولى لبني العَبَّاس من بغداد هو القائد العسكري علي بن حسين جفتم مافزع لذلك وتَخَوَّف منه ، فانسحب عائداً إلى صَعْدَة^(٣) .

وفي مصدر متأخر^(٤) نجد الخبر نفسه منقولاً عن صاحب سيرة الهادي^(٥) ، لكنه يسمي عبيد آل يعفر « بِمَوَالِيهِمْ »^(٥) . ونستفيد من صاحب السيرة المعاصر للأحداث - والمتحيز دائماً للهادي - في مناسبات أخرى معرفة اسمي موليَّي آل يعفر هما « جراح بن بشر » و « ابن كَيْالَة » فبعد أربع سنوات من خبر خلاف آل يعفر مع عبيدهم ، نجد الأمير أسعد بن أبي يَعْفَر في مطلع عام ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م مقيماً بوُرُور حيث

(١) سيرة الهادي يحيى بن الحسين (تحقيق د . سهيل زكار) : ٢٤٦

(٢) سيرة الهادي : ٢٤٧ - ٢٥٠

(٣) سيرة : ٢٥٠ ، وقد أسر رجال الأمير أسعد القائد جفتم خارج صنعاء وأدخل إليها ثم أعدم (غاية الأمانى : ٣٩/١) .

(٤) هو كتاب (غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني) المنسوب للمؤرخ يحيى بن الحسين ، تحقيق د . سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٦٨

(٥) غاية الأمانى : ١٨٨/١ وقارن الخبر في سيرة الهادي : ٢٤٦

أقام الهادي في السابق ، بينما الأخير في نفس الوقت كان قد دخل صنعاء فوثب عليه « ابن كيالة » فخرج الهادي إلى صعدة - دون قتال - وحدث العكس مع جرّاح بن بشر الذي كان متولياً للأمير أسعد شبّام فقد أخرجه منها القرامطة فجاء إلى صنعاء وكتب مع ابن كيالة إلى أميرها أسعد « أن تقدم إلى صنعاء ففعل ، وأقاموا بها جميعاً »^(١) .

وبعد ستة أشهر تمكّن عليّ بن الفضل من دخول صنعاء ، فراجع الأمير أسعد إلى « قدم » بحجة وكان معه ابن كيالة ، بينما توجه جرّاح إلى عثّر « بتهامة عسير »^(٢) .

لقد كان ابن كيالة أكثر التصاقاً وموالاة للأمير أسعد ، ويبدو أن تنافساً وخلافاً كان بينه وبين جرّاح بن بشر الذي لم يعد من تهامة إلا في شهر ذي الحجة عام ٢٩٧ هـ / أغسطس ٩١٠ م لما بلغه انتصارات ابن كيالة في حراز ضد القرامطة ، وترك ابن الهادي لصنعاء بناءً على أمر أبيه ، فلحقه إلى صعدة ، ودخل جرّاح ممهداً لقدم الأمير أسعد الذي وصلها من حجة في شهر ذي الحجة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م فكان من نصيب

(١) سيرة الهادي : ٣٩٣ ، وفي (غاية الأمان) حوادث سنة ٢٩٤ : « وخرج على الهادي موالي بني يعفر كالحسن بن كيالة [في الأصل المطبوع (ابن كنانة)] وابن جرّاح ، فحاربوه ونافسوه على صنعاء ، فرجع منها إلى صعدة ودخل أسعد بن أبي يعفر إلى صنعاء فاستقر بها » ١٩٨/١ ، وفي (قرة العيون) لابن السديّيع : « ثم إن موالي بني يعفر جمعوا لحرب الهادي بصنعاء فندب أهل صنعاء لحربهم فتخاذلوا فخرج من صنعاء إلى صعدة » ٢٠٠/١

(٢) سيرة : ٣٩٤

جَرَّاحُ أَعْمَالِ صَنْعَاءَ وَمُخَالِفُهَا ، كَمَا كَانَتْ ذِمَارٌ وَمُخَالِفُهَا تَحْتَ إِدَارَةِ
ابْنِ كَيْيَالَةَ^(١) .

وَيَذْكُرُ ابْنُ الدُّيُّعِ حَوْلَ ذَلِكَ أَنَّهُ « لَمَّا عَظُمَ أَمْرُ الْقَرَامِطَةِ جَمَعَ
أَلْ يَغْفَرُ مَوَالِيَهُمْ وَمَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ وَقَصَدُوا الْقَرَامِطَةَ بِصَنْعَاءَ ، فَقَتَلُوا
بَعْضَهُمْ وَهَرَبَ الْبَاقُونَ ، وَدَخَلَ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي يَغْفَرٍ صَنْعَاءَ وَمَلَكَهَا »^(٢) .
وَلَقَدْ تَوَجَّهَ أَسْعَدُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى شِبَامَ وَمَعَهُ جَرَّاحٌ وَابْنُ كَيْيَالَةَ فَتَحَارَبَ مَعَ
الْقَرَامِطَةِ طَوِيلًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَأَمَدَّهُ الْأَخِيرُ بِالرِّجَالِ مِنْ ذِمَارٍ حَتَّى أَمَكْنَ
هَزِيمَةُ الْقَرَامِطَةِ . وَالْغَرِيبُ أَنَّ أَسْعَدَ لَمَّا عَادَ إِلَى صَنْعَاءَ وَمَعَهُ جَرَّاحٌ « قَدِمَ
ابْنُ كَيْيَالَةَ إِلَى صَنْعَاءَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لِعَشْرِ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ
(٢٩٨ هـ / ٩١٠ م) فَأَخْرَجَ جَرَّاحُ بْنُ بَشْرٍ عَنْهَا طَرْدًا فَصَارَ إِلَى بَلَدٍ قَدِمَ
[قَرَبَ حَجَّةَ] وَانصَرَفَ ابْنُ كَيْيَالَةَ إِلَى ذِمَارٍ ، وَأَقَامَ أَسْعَدُ بْنُ أَبِي يَغْفَرٍ
بِصَنْعَاءَ »^(٣) .

وَلَقَدْ عَادَ ابْنُ كَيْيَالَةَ ثَانِيَةً لِمَنَاصِرَةِ سَيِّدِهِ فِي الْعَامِ نَفْسِهِ ضِدَّ الْقَرَامِطَةِ
فِي شِبَامَ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ مَعَهُ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ فِي ذِمَارٍ بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعَتْ مَعَ الْأَمِيرِ
أَسْعَدُ جَمِيعُ مَذْحِجٍ لِمُحَارَبَةِ الْقَرَامِطَةِ . وَفِي مَعْرَكَةٍ فَاصِلَةٍ بِذِمَارٍ انْتَصَرَ فِيهَا
الْأَمِيرُ أَسْعَدُ قَتَلَ مَوْلَاهُ ابْنَ كَيْيَالَةَ « يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ لِعَشْرِ لِيَالِي خَلَّتْ مِنْ شَهْرِ
رَبِيعِ الْأَوَّلِ لِسَنَةِ ٢٩٩ هـ ، وَثَبَتَ أَسْعَدُ فِي الْبَلَدِ وَفَرَّقَ عَمَالَهُ فِي النُّوَاحِي

(١) سيرة : ٣٩٦

(٢) ابن الديبع : (قرّة العيون) ٢٠٢/١

(٣) سيرة : ٣٩٦

وأقام بدمار»^(١) .

أما جراح بن بشر فقد جرّه طموحه ليتوجه بعد طرد ابن كَيْالَة له إلى تِهامة حيث كان هناك مرّة من قبل ، وقد منح ولاءه لأحد موالي حاكم الحجاز الذين كانوا في هذه الفترة يزاحمون الزياديين والهادويين والقرامطة (علي بن الفضل) في السيطرة على زبيد ومنطقة تِهامة ، وعندما وصل جراح بن بشر كان عامل زبيد مظفر بن حاج قد توفي وتُقل جثثانه إلى مكة ، وخلفه ابنه الذي لم يلبث أن عُزل ، فتوجه إلى عمّه عَجّ بن حاج إلى مكة فتولّى الأمر قائد (مولى) كان مع أبيه يقال له ملاحظ بن عبّد الله الرّومي ، لكنه لم يثبت أمام إبراهيم بن محمّد بن علي ، فتراجع إلى عثّر ، حيث تحالف معه زعيم من رجاله من حكم قبيلة الشاعر والمؤرّخ المشهور عمارة الحَكَمي ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م - كما صار إليه جراح بن بشر (ولا ندري من وم كان معه من الرّجال) وتوجّه بهم مُلاحظ الرّومي حتى دخل « المَهْجَم » في وادي سَرَد « والكدراء »^(٢) من أعمال بيت الفقيه ، وتمكّن في الأخير من الاستيلاء على زبيد وكان ذلك بعد نحو شهرين من مقتل ابن كَيْالَة في دمار ، وكافأ جراح بن بشر بتوليته الكدراء^(٣) ولعل الأخير لم يَكُن راضياً بذلك ، إذ لم يحلّ الحول حتى قادّه طموحه وتقلّب موالاته إلى مراسلة علي بن الفضل

(١) سيرة : ٣٩٨

(٢) المهجم والكدراء كلاهما اليوم بلدة خربة .

(٣) سيرة : ٢٩٨

القرمطي الذي سبق له دخول زبيد ونهبها ؛ ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليها^(١) ، واتفقا على اللقاء . وإذ خرج جراح بن بشر لملاقاة ابن الفضل إلى مؤر اختلفا في الطريق ، فدخل ابن الفضل زبيداً فوجدها خاوية على عروشها بعد أن أخلاها ملاحظ وخرج بمن معه وبأهلها وما يملكون إلى المَهْجَم ، ثم انقلب ملاحظ لحرب جراح فظفر به ، « فقتله ومعه أخ له يقال له : مُحَمَّد بن بِشْر وجماعة ممن كان معه ، وذلك يوم الثلاثاء ليومين بقيا من شهر ربيع الأول سنة ثلاثئة [٩١١ م] وانصرف ابن فضل إلى المَذْيَخرة ليوم بقي من هذا الشهر [وقد مات بعد ذلك بعامين] ، وعاد ملاحظ إلى زبيد وخلف بالمَهْجَم والكدراء من يقوم فيهما »^(٢) .

لقد كانت زبيد - ربما من بداية القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي - قاعدة واسعة لعدد كبير من العبيد الأحباش الذين زاد اعتماد الدولة « الزيادية » عليهم في الإدارة والجيش ، بالإضافة إلى استمرار تدفقهم بالشراء - للعمل في فلاحه الأرض - حتى مطلع العصر الحديث كما يذكر لنا ذلك المؤرخ العلامة الحِمْيي صاحب « سيرة الحبشة »^(٣) .

(١) غاية الأمان « حوادث سنة ٣٩٧ هـ » : ٢١/١

(٢) سيرة : ٤٠١

(٣) هو القاضي الحسن بن أحمد الحِمْيي (ت ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩ م) أرسله المتوكل على الله إسماعيل سفيراً إلى نجاشي الحبشة « فاسلداس » سنة ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م وكتب عن بعثه ووصف رحلته كتاباً عرف « بسيرة الحبشة » ، وقد طبع بالقاهرة وحديثاً في ألمانيا (١٩٨٨) مع دراسة وترجمة للنص باللغة الإنجليزية ، وخبر شراء العبيد للفلاحة به (ص : ٢٩) .

وفي زمنٍ لا يبعد كثيراً عن ظاهرة حاكم مصر ، الخصيّ ، الأستاذ كافور الإخشيدي (ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م) ، انتقل الحكمُ تماماً من أيدي الزياديين في آخر سني دولتهم المنهارة إلى يد طائفة من العبيد المماليك المستوزرين لهم والذين أصبح لهم أنفسهم نفوذ وعبيد يملكونهم . لقد كان أولُ أولئك المدعو « رشيداً » ، وخلفه بموته مملوكه النوبي الأصل « الحسن بن سلامة » (٣٧٣ - ٤٠٢ أو ٤٠٣ هـ / ٩٨٣ - ١٠١٢ م) الذي عُرفَ بحزْمِهِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ ، فنهض بدورٍ هامٍّ حاول فيه إعادة تماسك الدولة المنهارة التي أصبح سيدها غيرَ منازعٍ لربع قرن^(١) ، وبموته خلفه عبدٌ حبشي له هو « مرجان » كان أيضاً أستاذاً لطفل هو آخر سلالة « بني زياد » . وفي هذه السلسلة التي تكررت صَوَرُها - فيما بعد - نجد أن لمرجان هذا عبيدين حبشيين أحسنَ تدريبهما والعناية بهما ، هما « نجاح » الموصوفُ بالعدل والاتزان ، و « نفيس » الذي كان غشوماً ظالماً^(٢) . ولا تُفصح لنا المصادرُ بشكل واضح لماذا لم يُدِر « مرجان » نفسه كلَّ أمور الدولة ، بل اعتمد على العبيدين في ذلك ، فوزعَ بينهما الأقاليم والإدارة ، فاشتدَّ التنافس بينهما ، حتى انتهى ذلك التنافس بمأساة أثبت فيها « نفيس » ما وصف به من الظلم حين قام عام ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م بسدِّ حائط على الطفل الزيادي - الوارث - وعمته ، فجاء « نجاح » لينتقمَ من

(١) ثغر عدن : ٥٩/١ - ٦٢ ؛ ابن الديبع : قرة العيون ٣٢٤/١ - ٣٣٣ ، غاية الأمانى :

٢٣٥/١

(٢) ابن الديبع : ٣٣٣/١ ، غاية الأمانى : ٢٣٦/١

هذه الفعلة ، وبعد معارك ذهب فيها نحو خمسة آلاف^(١) قتل فيها نفيساً على أبواب مدينته « زييد » ، ثم استفسر « نجاح » سيده « مرجاناً » عن مكانها ، فأشار إلى الحائط ، فأخرج الطفل وعمته ودفنها ، ووضع مكانها سيده مرجان حياً مع جثة نفيس ، وبهذه الوحشية أسدل الستار على دولة آل زياد ليؤسس نجاح أول دولة يتوارثها العبيد ويتعاور حكمها الصليحيون معهم سجالاتاً بعد وفاة نجاح سنة ٤٥٢ أو ٤٥٥ هـ / ١٠٢١ م لكنها استمرت قرناً ونصف القرن خضعت في آخرها لعبث الوزراء العبيد المتنفيين في ظل أمرائهم الأطفال ، كما حدث تماماً مع سادتهم السابقين بني زياد ، فكان من السهل سقوط حكمهم الغريب في يد الأمير اليميني علي بن مهدي الحميري الرعيني سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م^(٢) .

ولقد أفاض المؤرخون في أخبار دولة آل نجاح من عمارة اليميني (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) الذي عاصر الشطر الأخير من حكم آل نجاح بل وضمن تاريخه نقولاً من مصنف مفقود في تاريخ زييد^(٣) للمؤسس الثاني

(١) تبلغ بعض المصادر فتذكر أرقاماً أكبر من هذا ، ومع ذلك فحتى أقل رقم يدل على وفرة العبيد باعتبارهم مادة رئيسية بين المتقاتلين (انظر : ابن الديبع ٣٣٤/١ وقارن الحاشية فيه) .

(٢) تاريخ عمارة : ٢٢٩

(٣) لا يعلم عن نسخة من تاريخ جياش الذي سماه عمارة بـ (المفيد في أخبار زييد) والذي يذكر أيضاً أنه رأى ديوان شعره مجلداً ضخماً (ص ٢٧٥) ويعزو بعض المؤرخين اختفاء تاريخ جياش إلى « أنه كشف فيه أنساب عدة من الناس كانوا يعززون إلى العرب فحكي عنهم غير ذلك فبالغوا في إعدامه من أيدي الناس ، وقيل : لما قتل الحسن بن أبي عقامة نعم عليه الناس ذلك ... فأودع في كتابه المفيد كثيراً من =

للدولة جَيَّاش بن نجاح (٤٨٢ - ٤٩٨ هـ / ١٠٨٩ - ١١٠٥ م) إلى بقيَّة من تلاه من المؤرخين اليمنيين كالجَنَدي (ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) والخزرجي (ت ٨١٢ هـ / ١٤١٠ م) وابن الدَّيْبَع (ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٦ م) ويحيى بن الحُسَيْن (ت ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م) وغيرهم ، إلّا أنها لم تحظ بعد بدراسة علمية حديثة . بيد أننا في سياقنا هذا لن نستطيع أكثر من مجرد الإفادة من تلك المصادر للوقوف على بعض الأمور المختصرة التي توضح لنا مدى قوة أولئك العبيد وإلى أي حدّ انخرطوا في البيئة اليمنية العربية الإسلامية حتى أمكن قيام دولةٍ منهم وبروز بعضهم ليس فقط قادة ومحاربين في بيئتهم الجديدة بل بصفتهم فقهاء وأساتذة ، وأكثر من ذلك فمنهم من ألف وقال الشعر ، كما كان شأن ملكهم الملقب بالمُكِين ، أو الطامي جَيَّاش بن نجاح ^(١) .



بعد مرور أقلّ من عقدين من الزمن على حُكْم نجاح الذي لَقِبَ نفسه بالمؤيد ، ظهرت على مَسْرَح الأحداث شخصيةٌ يمنية خطيرة وفذة ، استند صاحبها (السني الأصل) إلى مبدأ الدعوة الشيعية (الإسماعيلية) التي اعتنقها ، ذلك هو الداعي الملك علي بن محمد الصَّلَحي الذي أعلن دعوته من قِمَّة جبل مَسَار بحراز في الشمال الغربي من صنعاء عام

= مثالبهم فما زالوا يسمعون في إعدامه [أي آل أبي عقامة] ويشترون ما وجدوه منه بأعلى ثمن ثم يتلفونه حتى فقد وعزّ وجوده » (بالخرمة : ثغر عدن ٤٧/٢) .

(١) انظر الحاشية السابقة .

٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م ، ومن هناك انطلق ليوحّد الين كلّهُ « بعد أن استأذن حاكم مصر العبّدي المستنصر بالله بإعلان الدعوة »^(١) وقد استولى على زييد عام ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م « أو قبل ذلك كما في رواية أخرى » ، وذلك بعد وفاة نجاح أو موته بالسّم على يد جارية بارعة الجمال أهدها إياها الملك الصليحي لهذا الغرض كما يزعم عمارة^(٢) واتخذ الصليحي من صنعاء عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م عاصمةً لمُلكِهِ الذي امتدّ من مكة في الحجاز إلى أقصى حضرموت في الجنوب^(٣) .

بعدَ استيلاء الصليحي على زييد وتِهامة هرب أولادُ نجاح إلى « ذَهْلِكَ » الحَبَشَة ، وعيّن والياً على زييد صهره أسعدُ بنُ شهاب الصليحي ، أخو زوجه أسماء بنت شهاب التي كانت على درجةٍ بالغةٍ من العِلْم والكَمال ، وبرزت مع أخريات من هذا البيت كالسيدة بنت أحمد زوجة ابن الصليحي المكرم ، مدبرات للحكم ومشاركات في الحياة السياسية والعلمية في الين . وقد كان أسعد بن شهاب كريماً عادلاً في معاملته لعبيد تِهامة وأنصار آل نجاح ، كما كان كَمَلِكِهِ الصليحي بالغَ التسامح مع أهل السُنّة مستعيناً بكبارهم^(٤) . ولم يكن من السهل على

(١) ابن الديبع : قرة العيون : ١١٨ (حاشية) ، الهمداني (د . حسين) : الصليحيون والحركة الفاطمية في الين : ٧٣ - ٧٦

(٢) عمارة : ص ١١٧

(٣) عمارة : ١٠١ - ١٢٠ ، باخرمة : ثغر عدن ١٥٦/٢ - ١٦١

(٤) عمارة : ١٢١ - ١٢٣ ، الهمداني (الصليحيون) : ص ٨٧ - ٨٨ ، ولعل من أسباب تسامح الملك الصليحي مع السنة غير سعة أفقه وبعد نظره تحذّره من أسرة عِلْم سنية =

آل نَجَاح تركَ مُلْكِهِم الذي شَيَّده والدُّهم ، وارتفع بهم عدد كبير من بني جلدتهم ، فلم يكذُ يحلُّ آخرُ عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م حتى كان لهم جيشٌ من العبيد قوامه « خمسة آلاف حربة من الحبشة »^(١) وكان سعيد الأحول وأخوه جَيَّاش ابنا نَجَاح على اتصال بأنصارهم وجواسيسهم في زبيد فكان أن بلغتهم الأخبارُ بنزول الصُّليحي من صنعاء إلى تهامة في طريقه إلى مكَّة - ومنها كما قيل كان عازماً على السفر إلى مصر بدليل كثرة الأموال والهدايا التي كان يحملها - ويبدو أنه كان مُدركاً للخطر الذي يُعدّه آل نَجَاح ، كما أن صهره أسعدَ بنَ شهاب قد علم بخبر المؤامرة ، فخرج من زبيد يريد المَهْجَم على رأس خَمْسَةِ آلاف أكثرهم مماليك وأحباش يقربون لآل نَجَاح^(٢) وإذا انتحى الملك الصُّليحي بعض الشيء عن معه من قوَّة فَعسَكر مع خاصَّته من الأمراء والقادة وأهله في المَهْجَم^(٣) هَجَم فجأة سعيد الأحول بن نَجَاح وعصابة من العبيد قَضَتْ في مَذْبَحَةٍ دموية على المَلِك الصُّليحي وأخيه عبد الله « وجميع بني الصُّليحي » بعد أن أحيط

= حيث كان والده فقيهاً عالماً قاضياً باليمن سني المذهب ، حسن السيرة مطاعاً في أهله وجماعته .. (باخرمة ١١٥٩/٢ ، عمارة : ١٢١ - ١٢٤) ولم يكن اعتناقه للمذهب الجديد سرّاً على يد صديق والده الداعي عامر بن عبد الله الزواحي الذي خلف له كتبه وماله إلا وقد نضج .

- (١) باخرمة : ١٦٢/٢ ، ابن الديبع : ٥٥٣/١
(٢) ابن الديبع : قرة العيون : ٢٥٣ - ٢٥٤ والخبر نفسه في ثغر عدن ١٦٢/٢ إلا أنه سقط منه (فيما يبدو) اسم أسعد بن شهاب وجاء بدله « الصُّليحي » وهو المقصود .
(٣) عمارة : ١٢٧ ، والمهجم : بلدة خربة اليوم من أعمال الزيدية بتهامة (معجم الحجري ٣٩٨/٢ و ٧٢٥/٤) .

بالناس في المحطة « فلم ينجُ منهم أحد »^(١) واستولى سعيد الأحول على خزائن الصُّليحي وذخائره وأمواله ، كما أسر أسماء بنت شهاب زوجة الصُّليحي ورجع بها إلى زيد « وجعل رأسَ زوجها ورأسَ أخيه عبد الله أمام هُودَجهَا »^(٢) .

أما تلك القوة التي انطلق بها أسعدُ بنُ شهاب الصُّليحي من زبيد ولم تصلُ في الوقتِ المُناسب ، فما له دلالتُه خيرُ مراسلةٍ سعيد الأحول « إلى الخمسة آلاف .. فقال لهم : إن الصُّليحي قد قُتل ، وأنا رجل منكُم ، وقد أخذتُ بثأر أبي . فقدموا عليه وأطاعوه ، واستعانَ بهم على قتلِ عسكر الصليحي »^(٣) .

وتتفق المصادرُ على أن تلك الفاجعة قد وقعتُ في ١٢ ذي القعدة سنة ٤٥٩ هـ / ديسمبر ١٠٦٧ م . ولم يطلِ العهدُ بآل الصُّليحي للانتقام وفك أسر أسماء بنتِ شهاب ، وقد تم ذلك في العام التالي حين شتت المُكرَّم بنُ علي الصُّليحي جيشاً ضخماً لعبيد آل نجاح ، وعادتُ تهامةُ لحكم آل الصُّليحي وعين المكرم خاله أسعد بن شهاب لحكمها ، بيد أن التخلُّص من سعيد الأحول الذي فرَّ بجرأاً إلى جزر « دهلك » لم يتمَّ إلا بعد أن عاد ثانيةً وتمكَّن بقوة العبيد من إخراج أسعد بن شهاب من زبيد حتى تمَّ قتله بتدبير من الملكة السيدة بنت أحمد الصُّليحي - زوجة المكرم - عام ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م في معركة حاسمة تحت حصن قيضان بالشَّعر من

(١) عمارة : ١٢٧ ، باخرمة : ١٦٣/٢

(٢) باخرمة : ١٦٣/٢ ، قرة العيون : ٢٥٢/١ - ٢٥٥

(المنطقة الوُسطى) وقد أثنى القتل في جيش العبيد الذي يزعم عمارة (ص : ١٤٣) أن تعدادَه ثلاثون ألف حربَة ، وعنه نقل المتأخرون كابن الديبع (٢٦٢/١) ؛ وبصعوبة تم التعرف على جثة سعيد الأحوال بعد أن عُرِضَت جثث القتلى أمام زوجتِه فتعرفتُه ، وتكرر معها ما حدث لزوجَة علي الصُّليحي حيث رُفِعَ رأسُ سعيد على حربَة أمام هودجها حتى أحضر إلى الملكة السيدة بنت أحمد الصُّليحي في دارها العز بجيلة^(١) .

لقد كان جَيَّاش بن نَجاح - أخو سعيد - فيمن نجا من المعركة وأشاع (نفسه) أنه مات ، ثم فرَّ إلى الهند ، وعاد متخفياً إلى زيد جامعاً الأنصار من العبيد في قصة طويلة نسج تفاصيلها^(٢) ، وانتهت بعودة سيطرته على زيد لاثنتي عشرة سنة حتى وفاته عام ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م . وتدل أخباره على الدَّهَاء والشجاعة ، وعلى معرفة بالتاريخ ونظم الشعر^(٣) ، وكان آخرَ الحكام ذوي الشأن من آل نَجاح ، إذ طغى بعد ذلك على صغار ورثته وزرأؤهم من العبيد ممن عرف بالجَبَروت والفسوق والشهوانية كأنيس الفاتكي وخلفه من الله الفاتكي ، بل كان منهم من عُرِفَ بالشذوذ الجنسي كفانك بن محمد الذي قتله عبيدُه لهذا السبب^(٣) حتى قضى عَلِيُّ بن مَهدي الرُّعيني الحُميري عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م على دولتهم ، فلم تَقُمْ لها قائمة بعد ذلك^(٣) .

(١) عمارة : ١٤٢ ، ابن الديبع : ٢٦٢/١ - ٢٦٥

(٢) عمارة : ٢٧٥ - ٢٧٦

(٣) عمارة : ٣٥١ - ٣٥٩

لم تميّز دولة بني نجاح بأيّ مآثرة أو دعاوى مذهبية أو سياسية ناضلت عنها كغيرها من دُوِيّلات العصر ، باستثناء أنها كانت ظاهرة (عرقية) متميزة ساعد في قيامها صراع تلك الدُوِيّلات المتقاتلة ، فشلت هذه قوة حقيقية من العبيد والأحباش ، وبات بينها آصرة الجنس والإحساس المشترك بتعالى السادة من (الحكّام والمالكين وربّما الآخرين من العرب الينيين) رغم المساواة في الدين ، ومع أن وضعهم العام لا يشير إلى ظلم يميّزهم عن غيرهم من أمثالهم من عامّة الناس - كما كان شأن زنج البصرة مثلاً^(١) - إلا أن معظمهم سواء كان مملوكاً أو حرّاً هجيناً (من أصل حبشي) قد وجد في طموحات نجاح متنفساً نفسياً وجسدياً ، وإحساساً بالولاء والطمأنينة حتى ولو لم يغيّر ذلك من واقع الأمر شيئاً يُذكر لتلك الأحاسيس ، وجسدياً للطاقة القتالية التي اعتادها كثيرٌ ممن جلب أو ورثها عن آبائه ، وتدلُّ ألقاب قاديتهم من آل نجاح على المفهوم القائم على القوة والانتقام ، فمؤسس الدولة هو « المؤيد نجاح » ، وليس « المؤيد بالله ؟ » (ربّما المؤيد ببني جلدته) . وجيّاش بن نجاح هو الملك « المكين » أو « الطامي » ، كما أن لقب ابنه وخلفائه بعده - من السُلالة - هو « الفاتك الأول والفاتك الثاني والفاتك الثالث » ..

ولعلّ ممّا له دلالتُه عِرقياً ولُغوياً ما أعلنه منادي المكرّم بن علي الصُّليحي في جيشه يوم استنقذه لأُمّه أسماء واستعادة الصُّليحيين لزييد بأن

(١) راجع الموسوعة الإسلامية مادة (زنج) .

« يرفع السيف بعد الفتح ، وقال للجيش : اعلّموا أن عَرَبَ هذه
التَّهائم يستولدون الجوّاري السود ، فالجلدة السوداء تعمُّ العبدَ والحر ،
ولكن إذا سمعتم من يسمي العظمَ عَزْماً فاقْتُلوه فهو حَبْشي ومن سمّاه
عَظْماً فهو عَرَبِي فاتركوه ! »^(١) .

ويُفهم من هذا النصّ فيما يُفهم اختلاطُ الأنساب بين اليمّنيين في زبيد
والأحباش ، وخاصةً عن طريق التّزاوج بالجوّاري الحبشيّات ، كما أن لهجة
عامة الأحباش ممن استوطن أو لغتهم ما زالت تعترّيا لُكنة وصُعوبة في
مخارج بعض حروف العربية كالظاء والذال ، ولا شك في أن تجارة العبيد
كانت مستمرةً غير من قد تأقلم واستوطن ، فمجيء قادمين كان باستمرار إلى
سوق النخاسة بزبيد الذي لم يقتصر على زُنوج أو أحباش بل كان من
بينهم هنود وشركس وخاصة من الجوّاري ، ويحتفظ لنا مخطوط^(٢) ثمين
لمقامات الحريري فيه لوحة مصوّرة لسوق العبيد في زبيد رسمها
الواسطي ، ويرجع تاريخها إلى سنة ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م تُبرزُ عبيداً
ومشتريين يساومون النخّاس الذي يذكر لهم مزايا أحد العبيد الذي تم
بيعه بمئتي درهم .

وفي عدن التي بدأ الناسُ بسكناها والتردد إليها في دولة آل زياد
(مطلع ق ٣ هـ / ١١ م) ثم راجتُ فيها تجارة العبيد نجد أحدَ ولايتها من

(١) عمارة : ١٣٤ ، ويريد بـ « يسمي العظم عَزْماً » عدم قدرته على لفظ الظاء فيرققها
زايّاً .

(٢) Bibiotheque National, Paris - MS - Arabs 5847, FOL - 105

بني زريع الذين استنابهم الصليحي لحكمها (٤٧٦-٥٦٩ هـ / ١٠٨٣-١١٧٣ م) ، قد رَغِبَ في سَكْنَى المدينة بدل الحصون ، وكان ثَقُلَ الحِجَارَةُ من « أُثِين » لا يقدرُ عليه إلا أهل القوة والثروة :

« فاشترى الوالي رَقِيقاً زُنُوجاً وجَعَلَ العبيدُ يقطعونَ له الحِجَارَةَ من جبالِ عَدَنَ والإمَاءُ يَحْمِلْنَها على ظهورهن ، وهو أَوَّلُ من أظهرَ المقلعَ بها ، وأول من بَنَى السَّورَ على عَدَنَ » ^(١) .

وترك لنا ابنُ المُجَاورِ (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) وَصْفاً فريداً لِصِفَةِ بَيْعِ الجواري في عدن في الرُّبْعِ الأول من القرن السابع / الثالث عشر للميلاد فيه الكثير من الاستهانة والفُحْشِ بالجواري المَعْرُوضات من قِبَلِ التَّاجِرِ « الخواجا » ^(٢) في حُضُورِ التجار الذين يُلقَّبُهم « بالفجار » ، فمن خَلَعَ الثَّيابَ إلى تَقْلِيْبِ مُخْتَلَفِ أَعْضاءِ جسدِ الجارية بما في ذلك معاينة الفرج « من غيرِ سِتْرٍ ولا حِجَابٍ » وأكثر من ذلك فبعض المُشْتَرِينَ يدَّعي العيبَ أو الغِشَّ بعد أن يشتري الجارية وينالَ منها وَطَرَهَ ، فيرفع عند الحَاكِمِ قَضِيَّتَه بذلك ^(٣) .!



لقد دخلتِ اليَمَنُ في ظلِ الدَّولَةِ الأيوبيَّةِ بمجيءِ توران شاه الذي بعثه أخوه صلاح الدِّين إليها سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م ؛ وأرسي تُورَانَ شاه

(١) تاريخ ثغر عدن : ٩/١ - ١٠

(٢) « الخواجا » لقب فارسي الأصل من معانيه التاجر ، وكان يطلق أحياناً على من يمت بصلة إلى أصل فارسي (انظر : د. حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ص : ٢٧٩) .

(٣) (نخبة من تاريخ المستبصر لابن المجاور ٦٦/١) .

أسس تلك الدولة التي لم تتجاوز نصف قرنٍ حتى عام ٦٣٦ هـ / ١٢٢٩ م بعد قضائه المبرم على دولة « الهمدانيين من بني حاتم » في صنعاء و « بني مهدي » في زبيد و « بني زريع » في عدن . يئد أن السيطرة الأيوبية لم تكتمل على كل أراضي الدولة الأخيرة « الزريعية » في اليمن الأسفل إلا في عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م في ولاية خلف توران شاه الأخ الآخر للناصر صلاح الدين ، طغتكين بن أيوب الملقب (بسيف الإسلام) وقد استمر من سنة ٥٧٧ حتى ٥٩٣ هـ / ١١٨١-١١٩٦ م ^(١) ذلك أن أحد مماليك بني زريع ويدعى « أبا الدرّ جوهراً » كان قد أصبح الحاكم المطلق على تلك الدولة لسنوات طويلة منذ ولّاه سيده الداعي المعظم محمد بن سبأ بن أبي السعود حصن الدملوة (من أعمال الحجرية جنوب تعز) وحين توفي المعظم سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م أقره من بعده ابنه المكرم عمران ، ولم يلبث أن مات عام ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م وبات أبو الدرّ جوهراً المعظمي (نسبة إلى سيده الداعي المعظم) وصياً على أطفاله والدولة كلها ^(٢) .

لم يكن جوهراً هذا كبعض من مرّ من الوزراء العبيد ، بل كان مخلصاً لسيده ، وكان تقيّاً عاقلاً حازماً ، ذكياً ، عالماً له مصنفات في القراءات والحديث والوعظ ^(٣) وقد لقّب جوهراً بالسُّلطان والأستاذ شأن كثيرين من العبيد الأوصياء والمعلمين والطّواشي « وهو لقب عام

(١) ابن حاتم : السمت (ص ١٥ - ٢٣) .

(٢) (أبو) باخرمة ثغر عدن : ٤٢/٢

(٣) أبو مخرمة : ٤٢/٢ ؛ الحبشي : مصادر الفكر : ٥٣٧

للخصيان من الغلمان «^(١) وعندما استولى ثورانشاه على عدن عام ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م كان نائب جوهري عليها الشيخ ياسر بن بلال بن جرير ويقال : إنه شنقه مع عبده مصباح السدوسي^(٢) وقد تعذر على ثورنشاہ إخضاع جواهر المعظمي الذي تحصن في الدملوة حتى جاء طغتكين بن أيوب فقام بنفسه في عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م بإحكام الحصار على ذلك الحصن المنيع ، واستمر أربعة أشهر حتى ضاق جوهر ذرعاً من ذلك ولم يعد بوسع الصمود فأرسل إلى طغتكين يعرض عليه تسليم الحصن نظير عشرة آلاف دينار مشروطاً ألا يطلع إليه أحد من أتباع طغتكين ، كما أنه لن ينزل منه قبل أن يكون أبناء سيده - المكرم عمران - قد وصلوا إلى البحر وركبوا من أي موضع يريدونه . وقد قبل طغتكين ، فتسلم جوهر المبلغ المتفق عليه واستوثق من خطته ، فجمع جميع أولاد مولاه وأتباعهم وما معهم من الأموال والنفائس ، ونزل معهم متنكراً في زي امرأة - مخلفاً نائباً له ليؤم طغتكين أنه لم ينزل بالحصن - وتوجه بهم إلى ساحل المخا حيث استقلوا سفناً كان قد أعدها ، وأبحر بهم إلى الحبشة ولم يعلم طغتكين بأن جواهر كان مع الراحلين إلا حين تسلم منه كتاباً قبل الرحيل من المخا يبلغ فيه نائبه بتسليم الحصن ، فتعجب من حكمة جوهر وحسن تدبيره . وقد ذكر أن جواهر المعظمي قد توفي في الحبشة بعد عام

(١) راجع الألقاب الإسلامية (ص : ٣٨٢) ولا نعلم ما إذا كان جوهر خصياً كما لانعلم له أسرة وأولاداً .

(٢) أبو مخرمة ٤٢/٢ ؛ د. أحمد عبد العال : الأيوبيون في اليمن : ٨٧ - ٨٨

٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م ^(١) .

معلوم أن الأيوبيين قد استعانوا بعبيد من الترك والجراكسة وغيرهم للخدمة العسكرية وعرفوا بالماليك ، وقد تمكن بعض زعمائهم من الوصول إلى الحكم وأسسوا في مصر سلالاتي الماليك البحرية والبرجية حتى قضى على حكم آخر سلاطينهم (طومان باي) السلطان سليم العثماني عام ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ^(٢) .

وقد لاحظ مؤرخو الدور الأيوبي في الين تلك الفوضى التي نجمت على يد النواب الذين تركهم خلفه تورنشا ، ومعظمهم من الماليك والأكراد (وتخلط بعض أسمائهم بالآخرين) حيث تسابقوا للسيطرة والاقتيال ومنح الولاء لبعض القوى المحلية كأئمة الزيدية في الشمال الذين برز منهم في هذا الوقت عبد الله بن حمزة (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) ، ومن بين تلك الأسماء نجد سنقر ، عثمان الزنجيلي ، ياقوت التعزي ، بكمتر السيفي ، شمساً الخواص ، هلدري ، وأسماء أخرى من مماليك الأمير الكردي ورذشار الذي يصفه صاحب السمط « بأنه لم يكن له نظير ، وبلغ عدد مماليكه مئتين وستين مملوكاً » ^(٣) ولم تنته فتنهم حتى جاء طغتكين إلى اليمن « ليتولى السلطة فيها ، ويتخلص من نفوذ النواب بها ، ويعمل

(١) ابن حاتم : السمط : ٢٩ ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ١٩٣/١ تاريخ ثغر عدن ٤١/٢

- ٤٣ ، ابن الديبع : قرة العيون : ١/ ، غاية الأمان : ٣٣٠/١

(٢) راجع الموسوعة الإسلامية مادة « عبد : Abd » .

(٣) ابن حاتم : ١٤٦ - ١٥٠

على استقرار الأوضاع ، ويقضي على الفتن القائمة»^(١) .

إنّ ما تحقّق على يد السّلطان طُغتكين من استقرار قد تحطّم على يد ابنه المعزّ الذي كان طائشاً متقلّباً غريب الأطوار ، انتهى أمره على يد جنّده من الأكراد فقتلوه ومملوكه الحبشي في زيّد في ٢٨ رجب ٥٥٨ هـ / إبريل ١٢٠٢ م^(٢) .



(١) راجع ابن حاتم : السمط : ٢٢ ، ابن الديبع ، قرّة العيون : ٤٠١/١ - ٤٠٤ ، الأيوبيون

في اليمن : ١١٧ - ١٢٤

(٢) الأيوبيون في اليمن : ١١٢

٣ - نفوذ الممالك والعبيد في دَوْلَتِي بني رَسُول وآل طاهر

« كانتُ نهايةُ مؤسَّسِ الدَّولةِ الرِّسُوليةِ على أيدي
ممالكه الذين كان أكثرَ منهم
وكانوا يُحسنونَ مِنَ الفروسيَّةِ ما لا يُحسنه ممالكُ مِصرَ »

(غاية الأمانى : ٤٣٣/١)

(٣) نفوذ الممالك والعبيد

في دولتي بني رسول وآل طاهر

خلف الأيوبيون لبني رسول حُكْمَ الين (٦٢٦-٨٥٨ هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤ م) كما خلفوا لهم نظام الإدارة والاعتماد على الممالك ، فقد بقي عدد منهم في الين^(١) ، وكانت نهاية مؤسس دولتهم منصور الأول نور الدين عُمَر بن علي بن رسول على يد ممالكه الذين كان استكثر منهم « حتى بلغت ممالكه البحرية ألف فارس ، وكانوا يُحْسِنون من الفُروسيّة مالا يُحْسِنُه ممالك مِصر ، ويقال : إنّ الذي أغراه بقتل السلطان وشجّعهم عليه ابن أخيه أسد الدين ، ووعدهم بما طابت به نفوسهم »^(٢) وكان قتله في شهر ذي القعدة عام ٦٤٧ هـ / ١٢٢٩ م في قصره في الجند^(٣) .

وتكثر أخبار العبيد والممالك في دولة بني رسول^(٤) التي عرفت الازدهار العلمي والمعماري ، وشارك كثير منهم في الحكم والإدارة ، كما

(١) راجع : السمط : ٢٠١ وما بعدها .

(٢) غاية الأمان : ٤٣٣/١

(٣) لم يقتصر ملك العبيد والرقيق على حكام بني رسول ، بل كذلك كبار القوم والأغنياء في دولتهم ، فقد ورد عند ابن فضل الله العُمري في (مسالك الأبصار) : « .. ولأكبرها حظ من رفاهية العيش والتنعم والتفنن في المأكّل ... وتكون له الحاشية والغاشية والحبوش ، وفي بيته العدد الصالح من الإماء ، وعلى بابه جملة من الخدم والعبيد والخضيان من الهند والحبوش » (ابن فضل الله العُمري - ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م - ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار « القسم الخاص بمملكة الين ») حققه وقدم له : أيمن فؤاد السيد / دار الاعتصام - القاهرة (ص : ٥٥) .

ساهم بعضهم في التآمر والاضطرابات والقتل ، والتآمر على ساداتهم ، ومن ذلك قيام بعضهم على رأس جماعة منهم بأعمال عدوانية على بعض القبائل للحصول على المال ، أو السيطرة على حصن أو منطقة ، كما فعل أحد مماليك المظفر الرسولي المعروف بفارس حين وثب عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م على حصن من حصون دمار في جماعة من أصحابه ، فاجتمعت عليه قبائل مذحج فدخلوا الحصن وقتلوه وسبعين رجلاً من أصحابه^(١) ، كما كان لبعضهم الفضل في استعادة المجاهد الرسولي سلطانه من يد المؤيد^(٢) (سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م) كان بمعونة عبيد المؤيد^(٣) . بيد أن المجاهد في العام التالي حاصره المماليك ومعهم أكراد في مدينة تعز ، وقد أمر منادياً من حصن تعز « بإباحة المماليك نهباً وقتلاً وأشراً ، فقتل منهم ستة عشر رجلاً وفرّ بقيتهم إلى زيد » .

ويظهر أن أولئك الفارين قد تقووا بعبيد زيد واستولوا عليها ، فلم تفلح القوة التي أرسلها المجاهد - خمسمائة فارس وستائة راجل - بقيادة أمير يدل اسمه على أصل تركي هو الأمير نجم الدين أحمد بن أزدَمِر الذي باغت العبيد محطته خارج زيد « فانهزم أكثرهم وقتل من ثبت منهم ، ثم مال العبيد على الأمير أحمد بن أزدَمِر ومن كان معه فأسروهم وقتلوا بعضهم .. »^(٣) .

(١) غاية الأمانى : ٤٤٧/١

(٢) غاية الأمانى : ٤٩٥/١ - ٤٩٧ ، وراجع الخزرجي : العقود اللؤلؤية : ٢ - ٦

(٣) نفسه : ٤٩٩/١ ويذكر الخزرجي أن الأمير نجم الدين بقي أسيراً بزيد حتى مات في

شعبان من نفس العام (أي سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) العقود اللؤلؤية ١٢/٢ - ١٣

لقد كانت سُلْطَة الرّسوليين بعد مرور قرنٍ على حُكْمهم قد زالت عن أكثر اليمن الأعلى ، وهاهي ذي مهددة في تهامة وعَدَن على يد المَمَالِيك والعَبِيد . فلقد استغلَّ أولئك المماليك اضطرابَ الأمور في تَعَزُّ على المجاهد نتيجة اختلافٍ وقع بين عسكره وأهل تعز ، فهبُّوا من زَيْدٍ إلى تَعَزَّ وساعدهم عاملُ المُجاهد على لَحَجِّ وأبَيَّن عُمَرُ بن أبيك الدَّوَيْدار الذي خالف المجاهد انتقاماً لمقتل أبيه في الحادث السابق في زبيد ، واستولى على عدن وقبض على عامل المجاهد بها^(١) .

وإذ تغلَّب المجاهدُ على أولئك المَمَالِيك في تَعَزَّ فقد اضطرَّ للاستعانة بأشراف تهامة من الحَمْزِيِّين والسُّلَيْمَانِيِّين لاستعادة زَيْدٍ من قَبْضَةِ المماليك ، لكنهم استمروا في شَنْ الهَجَمَات على زبيد بعد محاولتهم عَزْلَ نائب المُجاهد فيها حتى قَصَدَهُم المجاهد بنفسه^(٢) وكان الأمر قد بلغ بالمُجاهد أن أرسل في مطلع نفس العام (٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) إلى السُّلْطَان الناصر مُحَمَّد بن قلاوون في طلب العَوْن فأنجده بألفي فارس ومثلهم من الرجال على رأسهم الأمير ركنُ الدِّين بَيْبُرس الحاجب^(٣) ، وقد وصلوا حين كان المجاهدُ بزَيْدٍ حيث خرج لاستقبالهم ، ثم اصطحبَهُم معه إلى تَعَزَّ ، غير أنهم شكّلوا مشكلةً وعَبئاً على الملك المُجاهد منذ البِدَايَةِ ، ففي الطريق من تهامة نهبوا إحدَى القُرَى و « سبوا حريمها وباعوهنَّ في

(١) غاية الأمانى : ٤٩٩/١ ، الخزرجي : ١٢/٢

(٢) غاية الأمانى : ٥٠٢/١ ، الخزرجي ٢٩/٢ - ٣١

(٣) المقرئزي (تقي الدين) : السلوك لمعرفة دول الملوك : ٢٥٩/٢ - ٢٦٠ : غاية الأمانى

الأسواق كما يباع الرقيق»^(١) ثم ساءت سيرتهم في تعز حتى ضاق بهم الناس ، ولم يَطلُ مقامهم حتى عادوا من حيث أتوا بعد حوادث كثيرة^(٢) .

وتتكرر حوادث المآليك ضدَّ سادتهم من الرُّسُوليين^(٣) ، كما استَفْجَلَ أمرُ العبيد بزَيد وتعذَّر على آخر حُكَّامهم المسعود (٤٧-٨٥٨ هـ / ١٤٤٣-١٤٥٤ م) بعد أن توجَّه إلى زَيد أن يعيدَ سلطانه عليها ، فاستقلَّ بالأمر العبيد « وجعلوا على كل طائفةٍ منهم والياً وحاكماً ، ومَرَج الأمرُ وخربت مدُنُ تهامة كالمُهْجَم والقَحْمَة والكَدْرَاء ونواحيها »^(٤) .

وهكذا كان العبيدُ في زَيد ، ومن ثمَّ في تهامة شوكةً في جنب الدولة الرُّسُولية تعذَّر على المسعود اقتلاعها ، وبحلول عام ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م كانت دولة بني طاهر الفتية قد ثَبَّتَتْ أقدامها في المُقْرَنة ثم في عدن ، وشدَّدَتْ ضرباتها على مابقي من سيطرة آل رسول ، فأدرك المسعود أنه لن يَقْوَى على الاستمرار ، فانسحبَ إلى مَكَّة واختار العُزْلَة^(٥) .

وجاء دورُ آل طاهر لمواجهة عبيد زَيد وكَثُرِ شوكتهم . وبدلاً من المواجهة المباشرة اتخذ آل طاهر السَّياسَة أو الخِدْعَة السَّياسية سبيلاً لتمزيق قوَّة العبيد ، ومن ثمَّ الاستيلاء على زَيد . فبعد انغزال المسعود الرُّسولي

(١) غاية الأمانى : ٥٠٢/٢ - ٥٠٣ .

(٢) نفسه ؛ الخزر جي ١٢١/٢ .

(٣) الخزر جي : ١٢٧/٢ وما بعدها .

(٤) غاية الأمانى : ٥٨٤/٢ .

(٥) ابن الدَّيْبَع : قرة العيون ١٤٥/٢ - ١٤٦ .

وانسحابه كَاتَبَ كِبَارُ زَيْدٍ وَأَعْيَانُهَا الْمَلِكُ الْمُجَاهِدَ عَلِيَّ بْنَ طَاهِرٍ^(١) إِلَى عَدَنَ بِأَذْلِينَ لَهُ الطَّاعَةُ شَاكِينَ لَهُ أَفْعَالُ «عَبِيدِ بَنِي رَسُولٍ» ، وَكَانَ لَدَيْهِ فِي عَدَنَ أَحَدُ أَمْرَاءِ الْعَبِيدِ التَّابِعِينَ لِأَلِ رَسُولِ جَيَّاشُ بْنُ سُلَيْمَانَ السُّنْبَلِيِّ الَّذِي اتَّفَقَ سَرًّا عَلَى الْقِيَامِ بِمَهْمَّةِ تَرْتِيبِ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى زَيْدٍ دُونَ مَقَاوِمِهِ ، وَقَدْ تَمَّ ذَلِكَ ، فَبَعْدَ التَّظَاهُرِ بِطَرْدِ جَيَّاشٍ مِنْ عَدَنَ وَإِهَاتِهِ وَمَعَهُ نَحْوُ الثَّلَاثِينَ ، تَوَجَّهَ إِلَى مَوْزَعٍ وَمِنْهَا رَاسِلُ رُؤَسَاءِ الْعَبِيدِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الرَّأْيِ ؛ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ رَضِيَ بِدُخُولِهِ أَمْثَالَ يُوسُفَ بْنِ الْفُلْفُلِ ، وَيَدْعُوهُ ابْنُ الدَّيْبِ «بَطَاغِيَتُهُمْ»^(٢) ، فَقَدْ أَدْخَلَهُ الْمَدِينَةَ ، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ جَيَّاشُ بِهَا اتَّصَلَ بِرُؤَسَاءِ الْعَبِيدِ وَأَظْهَرَ لَهُمُ النَّصْحَ ، وَبَعْدَ اسْتِطْلَاعِهِ أَوْضَاعَهُمْ وَعِلَاقَاتِهِمْ كَتَبَ إِلَى الْمُجَاهِدِ «بِإِحْلَالِ أَمْرِ الْعَبِيدِ وَضَعْفِ شَوْكِهِمْ ، فَأَجَابَهُ يَحْتَثُهُ عَلَى الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ ، وَعَلَى تَفْرِيقِ كَلِمَتِهِمْ ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْمَلُ الْحِيلَةَ حَتَّى حَالَفَهُ عَبِيدُ السَّيِّدِ وَعَبِيدُ الشَّمْسِ»^(٣) وَلَمَّا اسْتَوْثَقَ جَيَّاشُ مِنْ وَلائِهِمْ لِلْمُجَاهِدِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ مَعَ «جَمَاعَةٍ مِنْ كِبَرَاءِ الْبَلَدِ وَقُضَاتِهَا وَعُلَمَائِهَا ... فَلَمَّا وَصَلَتْهُ الْكُتُبُ خَرَجَ مِنْ عَدَنَ ثَالِثَ شَهْرِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ ٨٥٩ هـ / ١٤٥٥ م إِلَى بَلَدَةِ جَبْنٍ فَجَمَعَ الْجُنْدَ ثُمَّ نَزَلَ تَعَزَّرَ

(١) حَكَمُ (الْمُجَاهِدِ) عَلِيُّ بْنُ طَاهِرٍ مُشَارِكَةً مَعَ أَخِيهِ عَامِرٍ (الْأَوَّلِ) بْنُ طَاهِرٍ (الْمَلِكِ الظَّافِرِ) ، وَقَدْ سَقَطَ عَامِرٌ قَتِيلًا فِي الْمِيدَانِ عَامَ ٨٧٠ هـ / ١٤٦٦ م عِنْدَمَا كَانَ يُحَاوِلُ الْإِسْتِيلَاءَ عَلَى صَنْعَاءَ ، وَفِي عَامِ ٨٧٧ هـ / ١٤٧٢ م تَخَلَّى أَخُوهُ (الْمَلِكُ الْمُجَاهِدُ) عَنْ الْحُكْمِ لِابْنِ أَخِيهِ الْمَنْصُورِ تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، وَخَلَفَهُ ابْنُهُ السُّلْطَانُ عَامِرُ (الثَّانِي) بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّذِي كَانَ أَمُّ هَذِهِ السَّلَالَةِ الْحَاكِمَةِ وَأَخْطَرُهُمْ كَمَا كَانَ آخِرُ حُكَامِهَا (ت ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م) .

(٢) ابْنُ الدَّيْبِ : قِرَّةُ الْعِيُونِ ١٤٦/٢

فاستدعى بالعساكر [من قبائل تهامة ^(١)] وخلال شهرين من إعداد
المجاهد حملته يردّ - ربّما للمرّة الأولى - ذِكْرُ اسم « الحُدَيْدَة » ^(٢) التي
حالف شيخها إبراهيم الثّالثي جماعة من العرب على الطّاعة للمجاهد ^(٣) .
وما إن وصل المجاهد مدينة « حَيْس » ليلة عيد الأضحى حتّى هرب من
عبيد زبيد فرقة كانوا يُعرفون « بعبيد فشال » . وفي صباح اليّوم التالي
جمّع جيّاش أكبر العبيد عنده ، وأمر مُنادياً أن ينادي بأنّها للمجاهد ،
بيد أن جماعة أخرى أنكرت عليه ذلك ، فتجمّع منهم نحو أربعمئة عند
داره ودخل إليه نفر من رؤسائهم ، وكان بينهم عبدٌ يعرف « بفرج
جيري » حاول الاعتراض ، فقُتل ورُميت جثّته إلى أصحابه ، ففرّقوا ،
وانتهى أمر العبيد حيث دخل المجاهد إلى « زبيد » في اليّوم التالي بغير
قتال وانتشر عسكره لنهب بيوت العبيد ، ثم مدّوا أيديهم إلى نهب بيوت
غيرهم حتّى منّعوا بعدَ حوادث متفرقة لاتعينا ^(٤) .



(١) ابن الدّيبع : ١٤٦/٢ - ١٤٧

(٢) لم تكن الحُدَيْدَة من المدن القديمة المعروفة في تهامة ، ويذكر ابن الدّيبع أن المماليك
المصريين خرّبوها عام خروجهم إلى اليمن (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) (ص : ٢ ، ٢٢٤) ،
وقد تطوّرت الحُدَيْدَة بعد ذلك كثيراً في العصر الحديث ؛ وبصفتها ميناء ومركزاً
تجارياً فقد استقبلت عدداً كبيراً من غير اليمنيين من بينهم هنوة وأتراك وأحباش ،
ولا زالت قلة من الأحباش تشكّل مجتمعاً منعزلاً شبه مغلق (ghetho) . راجع عن
هذا الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها : ٢٥٠/١ - ٢٥١

(٣) ابن الدّيبع : ٢٢٣/٢

(٤) ابن الدّيبع : قرة العيون ١٤٧/٢ - ١٤٨ ؛ غاية الأمانى : ٥٨٦/١ - ٥٨٧

لم يَزِدْ حُكْمُ الدَّوْلَةِ الطَّاهِرِيَّةِ عَلَى سِتِّينَ عَاماً وَبَضَعَ سَنِينَ ، طَالَ
حُكْمُ آخِرِ سُلَاطِينِهَا وَأَهَمَّهُمْ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ تِسْعاً وَعِشْرِينَ سَنَةً ،
وَلَمْ تَقَمْ لِعَبِيدِ زَيْدٍ قَائِمَةٌ بَعْدَ هَزِيمَتِهِمُ الْأُولَى ، بِاسْتِثْنَاءِ حَوَادِثٍ مُتَفَرِّقَةٍ
فِي تِهَامَةٍ^(١) أَكَانَ يَتِمُّ الْقَضَاءُ عَلَيْهَا ، وَاسْتُخْدِمَ الطَّاهِرِيُّونَ بَعْضَ مَمَالِكِهِمُ
الْعَبِيدَ وَلَاةً وَقَادَةً عَسْكَرِيَّيْنِ ؛ فِي تَغْيِيرَاتٍ إِدَارِيَّةٍ وَقَضَائِيَّةٍ أَجْرَاهَا
السُّلْطَانُ عَامِرُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَامَ ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ، كَانَ مِنْهَا فَضْلُ
« بَنِي الْعَنْسِيِّ عَنْ وَلَايَةِ زَيْدٍ » وَتَعْيِينَ الْأَمِيرَيْنِ « رَيْحَانَ وَعُمَرَ الْجُبْنِيَّ »
- وَهُمَا مُلْكَانِ - عَلَى زَيْدٍ ، الْأَوَّلُ « قَابِضاً وَنَاطِراً » وَالْآخِرُ أَمِيراً بِهَا^(٢) ،
وَاسْتَمَرَّ رَيْحَانُ الصَّلَاحِي بَعْدَ ذَلِكَ أَمِيراً عَلَى زَيْدٍ ثَمَسَ سِنَوَاتٍ حَتَّى عَزَلَ
بِأَحَدِ الْأَشْرَافِ ، فِي حِينٍ كَانَ أَمِيرَ عَدَنَ خِلَالَ ذَلِكَ (مَرْجَانُ
الظَّافِرِي) - نَسَبَهُ إِلَى سَيِّدِهِ السُّلْطَانِ الظَّافِرِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ -^(٣) ،
وَقَدْ عَادَ النَّقِيبُ (الْأَمِيرُ) رَيْحَانُ الصَّلَاحِي نَفْسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِنَوَاتٍ إِلَى
زَيْدٍ مُسْتَخْلَصاً لِلضَّرَائِبِ حَيْثُ مَاتَ بِهَا فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٩٢٠ هـ /
١٥١٤ م^(٤) .

وَحِينَ قَدِمَتِ الْحَمْلَةُ الْمَمْلُوكِيَّةُ مِنْ مِصْرَ بِقِيَادَةِ حُسَيْنِ الْكُرْدِيِّ لِمُحَارَبَةِ
الْبَرْتُغَالِ فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ أَوَّخِرَ عَامَ ٩٢١ هـ / ١٥١٦ م اتَّخَذَتْ مِنْ كَمَرَانَ
مَحْطَةً لَهَا ، وَدَخَلَتْ قُوَّةً مَمْلُوكِيَّةً قَرْيَةَ الْحُدَيْدَةِ - فَخَرَّبَتْهَا بَعْدَ أَنْ هَرَبَ

(١) ابن الديبع : قرّة العيون (على سبيل المثال) : ٢٠٧/٢ ، ٢١٢ ، ٢٢٠

(٢) ابن الديبع : ٢٠٢/٢

(٣) نفسه : قرّة العيون ٢١١/٢

(٤) نفسه : ٢١٩/٢

أهلها وأُخْلِيتُ من السكان ، وعن طريق « اللَّحِيَّة » نزل مائة مملوكٍ تقدّموا ناحية « مَور » التي كان أميراً عليها محمد بن سليمان بن جياش السنبلّي - حفيد ذلك المملوك الذي ساعد آل طاهرٍ في الاستيلاء على زَبيد من يَدِ العبيد - وشاءت الأقدار أن يكونَ ذلك الحفيدُ الذي خرج لِمُواجهةِ المماليك على رأس من قُتِلَ من جماعته يَبْنادِقِ المماليك المصريين التي دخلت الين معهم لأول مرة ، ولم تَكُنْ معهودَةً من قبل^(١) .

لقد كان ذلك بداية النهاية ، ففي مُنتَصف العام التالي (٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) تمَّ احتلالُ زبيد ، وفرَّ الشيخُ عَبْدُ الملك بنُ عبد الوهاب إلى تَعِز . وعَيَّنَ الكردي أخاه بَرُسبَاي حاكماً ، وحينَ حاول السلطانُ عامِرُ بن عَبْد الوهاب استعادة سُلْطانِ آل طاهر من يَدِ المماليك الذين باتوا على أبواب صنعاء لحق بهم ، فكان قتله وقتل أخيه عَبْد الملك معاً خارج المدينة التي سقطت في يد المماليك وعاثوا فيها فساداً (ربيع الثاني ٩٢٣ هـ / مايو ١٥١٧ م)^(٢) وانقرضتُ بذلك دَوْلَةُ بَنِي طاهر ، ودَخَلَتِ اليَمَنُ فترةً جديدةً من تاريخها .



(١) ابن الدَّيْبِيع : قرّة العيون ٢٢٤/٢ - ٢٢٥

(٢) ابن الدَّيْبِيع : ٢٣٢/٢

٤ - الأمراء العبيد في العصر الحديث

« كان بعض الأمراء العبيد مهيباً ، وذا قدرة قتالية ممتازة ،
كما أن بعضهم الآخر تفقه وتآدب ، بل وتمذهب ... »

(انظر ص : ٥٨)

(٤) الأمراء العبيد في العصر الحديث

لم يكن أمام حُكْم المماليك القصير من خَطَرٍ يواجهونه إلا حُكْم الأئمة في الشمال فقد كانوا ينازعون الطاهريين ومن سبقهم الحُكْم على اليمَن ، كما كانوا كذلك في ظل الوجود العثماني .

وبعد الاستيلاء على صنعاء وردَ خبرُ دخول السلطان سليم الأول مِصْرَ ، فأعلنوا دخولهم في طاعته ، حتى جاء العثمانيون الأتراك عام ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م ، فكانتِ الين قِرابة قرْنٍ (حتى ١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م) جزءاً من الامبراطورية العثمانية .

لقد استخدمَ الأئمةُ المعاصرون - كما مرَّ معنا - العبيدَ حُرَّاساً ومُسْتَخْدَمِينَ وقادةً عسكريين وولاءً على بعض المناطق والنواحي .

فمن قادة الناصر بن مُحَمَّد (ت ٨٦٦ هـ / ١٤٦٢ م) المعاصِر لظهور بني طاهر ، مملوكُه رِيحانُ بنُ سَعِيد الذي خاضَ مع سيِّده حُرُوباً حولَ صنعاء حتى قُتِلَ فيها عام ٨٦٠ هـ / ١٤٥٦ م ^(١) ، كما نجدُ أن من بين قادة المطهر شرف الدين (ت ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢ م) الذي دوَّخ الأتراك في

(١) غاية الأمانى : ٥٨٧/٢

حروبه ضدهم ، أمراء عبيد ، كقائدي عسكره في طيبة « بنيان والأمير
جوهر » وعامل حراز « النقيب مبارك شعبان »^(١) وغيرهم .



لقد انتقل الحكم بعد وفاة المطهر من آل شرف الدين إلى أسرة
القاسم بن محمد (١٠٠٦ - ١٠٢٩ هـ / ١٥٩٧ - ١٦٢٠ م) حيث انسحب
الأتراك من اليمن في عهد المؤيد محمد (ت ١٠٥٤ هـ / ١٦٤٤ م) ابن
مؤسس حكم هذه الأسرة ؛ وعادوا ثانية عام ١٢٦٦ هـ / ١٨٤٨ م ، وقبيل
ذلك بعقد احتلت بريطانيا عدناً في ٥ ذي القعدة ١٢٥٤ هـ / ١٩ يناير
١٨٣٩ م . وخلال تلك الحقبة التي تجاوزت قليلاً قرنين من الزمن كانت
فيها اليمن كاملة الاستقلال^(٢) حكم عدد من الأئمة من « بيت القاسم »
امتد حكم بعضهم ليشمل اليمن الطبيعية جنوباً وشمالاً حتى حدود الحجاز
(كما كان في ظل المتوكل على الله إسماعيل (ت ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م)
الإمام الثالث من هذا البيت)^(٣) وأنجزر في فترات متأخرة لتنحصر

(١) غاية الأمانى : ٦٩٢/٢

(٢) سيطرت قوات والي مصر محمد علي باشا على ساحل تهامة خلال حروبه في الجزيرة
العربية (١٨١١ - ١٨١٨ م) واستعادت صنعاء سيطرتها عليها عام ١٢٣٤ هـ /
١٨١٩ م ، وقد عادت القوات المصرية ثانية عام (١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م) وانسحبت
نهائياً عام ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠ م .

(٣) يذكر المؤرخ الحيمي سفير هذا الإمام إلى ملك الحبشة سنة ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م أن من
جملة الهدايا التي أرسلها الأخير للمتوكل إسماعيل عشرين عبداً (ص ٣٥ من الطبعة
الألمانية وراجع ص ٢٦ وحاشية ٣ فيما سبق) .

سيطرة الإمام على صنعاء وما حوّلها^(١) . وكيفما كان أمر تلك السيطرة واتساعها ، وقوة أولئك الأئمة أو ضعفهم فقد ملك معظمهم - إن لم يكن جميعهم - عدداً متفاوتاً من العبيد الذين كانوا يتوارثونهم أو يشترونهم - حيث لم تتوقف تجارة الرقيق - ، وكانوا يتسرون أو يتزوجون بجوار - أغلبهن حبشيات - ، كما كانوا يستعينون ببعض الموثوق بهم في الإدارة (العمالة) والجيش كما سيأتي معنا ذاكرين هنا ثلاثة من عبيد المتوكل إسماعيل مثلاً يتكرر في دولة الأئمة من (آل قاسم) فالنقيب سعيد بن فرحان كان من مماليكه الذين أعتقهم ، وولاه عمالة المخا ، ثم ولاية بيت المال التي كان عليها إلى أخريات أيام المتوكل^(٢) . والثاني عثمان بن زيد الذي كان من قادة العسكر ، ويذكر لنا المؤرخ حنش (ت ١٠٨٠ هـ = ١٦٦٩ م) معاصر المتوكل إسماعيل ، أن من المهام التي كلف بها إرساله على رأس خمسمائة من العسكر في شهر رجب ١٠٧٧ هـ / يناير ١٦٦٧ م ليحقق في قضية تزوير خط المتوكل لعزل واليه على حضرموت ، ويبدو من حصافته تصرفه في الموضوع وإنهاء الأمر باجتهاد خاص جنبه الاقتتال والأخذ والرد مع سيده في العاصمة صنعاء^(٣) . أما

(١) راجع كتابنا : فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى صنعاء (دار الفكر - دمشق ١٩٨٥ م) .

(٢) ابن الوزير : طبق الحلوى (ص : ٢٩١) ؛ حنش : النور المشرق في فتح المشرق (ص : ٨٥) .

(٣) أحمد بن عبد الله حنش : النور المشرق من فتح المشرق وما به الحق ، تحقيق عبد الله الحبشي (بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦) ص : ١١٣ - ١١٤ .

الثالث فهو الحاج فرحان عبد الله الذي ترجمه صاحب (بغية المريد)^(١) بقوله « كان هذا المولى عبداً صالحاً ، خدم مولاه [المتوكل إسماعيل] من سن الصغر إلى المشيب ، وكان آخر مدته أمير الحج إلى بيت الله الحرام ، فتردد أعواماً كثيرة أيام المتوكل - على ذهني أنها خمس عشرة حجة - واشتهر ذكره في مكة ، وعرفته الأشراف وأمرء الأروام ، وكان له ذكر جميل ، وعاش إلى دولة الإمام الناصر ثم توفي رحمه الله ، وقبر في حجرة مشهد المتوكل » . لقد كان للحاج فرحان مكانة خاصة عند المتوكل برئاسة (إمارة) الحج من المناصب الهامة ، وكثيراً ما كان يكون معه شخصيات وأمرء من البيت الحاكم ، بل ولأن سلطة المتوكل امتدت إلى الحجاز فقد كان محمل الحاج اليماني يأخذ أهبة خاصة وتحمل العطايا لأهل الحرمين ، ففي موسم عام ١٠٧٧ هـ / ١٦٦٧ م كان مع الأمير الحاج فرحان وصحبه « اثني عشر مئة من الرماة ولحق بهم مثلهم من سائر الناس .. »^(٢) . وقد كان بعض الأغنياء ومسؤولي الدولة يملكون أيضاً أفراداً من العبيد غالبهم في خدمة المنازل أو المزارع ، كما في تهامة بشكل خاص ، ومهما كان عدد أولئك العبيد - مع الأئمة أو غيرهم - فلم يكن بالتأكيد - يتجاوز أرقاماً متواضعة في كل جيل لانستطيع للأسف تحديدها بدقة^(٣) ، وهذا ما يجعلنا نشك كثيراً في الأرقام التي ساقها

(١) (مخطوط) بغية المريد وأنس الفريد لعامر بن محمد الرشيد (ق ١٤٩) .

(٢) حنش : النور المشرق (ص : ٣٥ ، ١١١) ؛ طبق الحلوى لابن الوزير : ١٤٩ ، ٢٢٦ .

(٣) ألحقنا بهذا البحث قائمة لأشهر الأمراء العبيد خلال حكم المهدي عباس وابنه المنصور علي أي بين عامي (١١٦١ - ١٢٢٤ هـ / ١٧٤٨ - ١٨٠٩ م) .

المستشرق الفرنسي جان دي لاروك Jean de la Roque في وصفه لبلاط الإمام المهدي محمد بن أحمد (ت ١١٣٠ هـ / ١٧١٨ م) حين زيارة البعثة الفرنسية له في مدينة المواهب (شرقي دمار) في مطلع عام ١١٢٤ هـ / فبراير ١٧١٢ م ، فقد قال :

« ... ويقال : إن في قصره نحو ستمائة أو سبعمائة امرأة يعشن في سرايا خاصة بهن ، وهن من جنسيات مختلفة ، ولكن يؤكد بعض العارفين أن أكثرهن من الشركسيات المشهورات بجمالهن . وهناك عدد من النساء العربيات وهن شديدات البياض ! »^(١) .

إن سبب الشك يرجع إلى أنه لم يكن لأحد ممن حكم اليمن أي عددٍ مثل هذا أو قريب منه - حتى دولة بني نجاح نفسها التي اعتمدت قوتها على العبيد ، وأكثر من ذلك فلعل ذلك الإمام الذي كان صاحب شخصية عجيبة متناقضة الأهواء ، لم يكن عنده مثل ذلك العدد من الجنود أو العسكر حينما حاصره في مدينة المواهب إمام آخر بعد زيارة تلك البعثة بخمسة سنوات ؛ واضطر لخلع نفسه عام ١١٢٩ هـ / ١٧١٧ م وتوفي في العام التالي^(٢) .

درج آل القاسم على تحرير بعض ماليكهم ، وكانوا يمنحون لقب « أمير » وأحياناً « تقيب » لمن يتبوأ منصباً في الجيش ، فهو « أمير الجند »

(١) رحلة إلى العربية السعيدة (١٧١٦م) ، عن مقال للدكتور يوسف شلحد (مجلة

دراسات يمنية : العدد ١٨ / شتاء ١٩٨٤ م ؛ ص : ٦٧ - ٨٠) .

(٢) الشوكاني : البدر الطالع ٩٧/٢ - ١٠١

ومن نال حُظوةً في الحاشية فيضاف إلى اسمه . وكانت أسماؤهم - شأنهم شأنُ كثيرين قبلهم في الين وغيره - تغلبُ عَلَيْهَا أسماءُ الأحجار الكريمة ، كَيَاقوت ، وفَيَرُوز ، وجَوْهَر ، ومرجان والماس . أو الطَّيِّب ، كَعَنْبر ، وكَافُور ، ومِسْك وما شاكل ذلك إلا ماندر كَسَعْد وفَتَح وفَرَج . وكان اسمُ المالكِ يُضاف إلى الاسم الأول كَفَيَرُوز المَتَوَكَّل ، ياقوت المَهْدي ، فَتَح الهادي .. وهكذا إلا القليل ممن يكون والدّه مملوكاً سابقاً معروفاً كفرحان صالِح ، وسلطان حسن ، علي فَتَح سُرور .. وهلمَّ جرا . ويغلبُ على الظن أنَّ السبب الرَّئيسَ في تولية هؤلاء العبيد المناصبَ العسكريَّةَ وبعضَ المناصبِ الهامَّةِ هو الوَلَاءُ والطَّاعَةُ المؤكَّدة لسادَتِهِم من ناحية ، وسهولة عَزْلِهِم ومُصادرة أملاكهم في أي وقت ، وبخاصَّة أنه ليس لهم جُذور قَبَلِيَّة يستندون إليها ، أو دَعَاوى سياسيَّة يُمكنهم بها الاتِّكَاءُ عليها . وليس من شكٍّ في أن بعضهم كان مهيباً وذاً قُدرة قتالية مُمتازة ، كما أن بعضهم الآخر تفقَّه وتادَّب ، بل وتمذهب ^(١) ، ومن هذا على سبيل المثال ما أثَّره من فِتْنَةٍ بين الشَّيعة وأهل السُّنَّة في صنعاء عام ١٢١٠ هـ / ١٧٩٦ م عبْدُ مملوكٍ لعبد الله بن المَهْدي عَبَّاس اسمه سَنْدَرُوس الحبشي الذي كان مُغَالِياً في التشيع ، فكان كما لقي عبْسداً آخر للمَنصور بن المَهْدي يُدْعَى سُلطان الحبشي يَلْعَنُ معاوية ! فيتغاضى الأخير حلماً وصبراً ، حتى التقيا ليلةً بياب مسجد التَّقْوَى ببُسْتان السلطانِ فصرخ سَنْدَرُوس بَلْعَنُ معاوية وتشاجرا بالسَّلاح ، وتطوَّرا الأمر ، وتجمعت

(١) العمري : مئة عام من تاريخ الين الحديث : ٦٥ - ٦٦

العامّة وثارت فيما يشبه المظاهرات ، وارتفع الصّراخُ بلعن معاوية ،
وهوجمت منازلُ بعضِ أهلِ السُّنة ، ولم تتوقّف أعمالُ الشَّغبِ إلّا في وقتٍ
متأخّر من الليل بعد تدخّل العسكر^(١) .

لقد كان تمّذهبُ العبد - في الغالب - راجعاً لِمذهب سيّده ، ورغم أنّ
الخلاف العقائدي - أو المذهبي - في إطار الزيدية القريبة إلى مذهب
أهل السنة كان نادراً وقليلًا مثله المتعصبون والجهلة منهم ، إلّا أن ممّا له
دلالة في هذا الصدد أنه لمّا سجن العلامة الكبير محمد بن إسماعيل الأمير
(ت ١١٨٢ هـ / ١٧٦٩ م) في عصر المَهدي عَبّاس (١١٦١ - ١١٨٩ هـ /
١٧٤٨ - ١٧٧٥ م) لسببٍ له علاقةٌ بالمتعصّبين حين كان ابنُ الأمير يُمثّل
زعامة الاتجاهِ الزيدي التحرّري ، كان الأميرُ الماس المَهدي^(٢) (مملوك

(١) لطف الله ححاف : مخطوط (درر نغور الحور العين) ق : ٢٥٢ - ٢٥٣

(٢) كان الأمير الماس ذا نفوذ عند المهدي عَبّاس ، وكان خلافه مع العلامة القاضي يحيى
السحولي (ت ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٥ م) قاضي القضاة ، أحد أسباب سجن الأخير
ومصادرة أملاكه عام ١١٧٢ هـ / ١٧٥٨ م ، ولعله هو نفسه قد غضب عليه سيده
المهدي فسجن في العام التالي (الشوكاني : البدر الطالع ٣٣٤/٢ ، وراجع العمري :
مئة عام : ٦٢ - ٦٣) وقد أفادنا الأخ الصديق السفير الأستاذ علي أحمد الخضر ، وهو
مرجع في التراث والفن ، بأن الفنانين المعاصرين من آل الماس ممن اشتهروا بالغناء
الصنعاني في عدن منذ الأربعينات من هذا القرن أمثال إبراهيم محمد الماس وولده وعمه
عبد الرحمن هم من أحفاد ذلك الأمير الماس ، وينقل الأستاذ الخضر الرواية عن والده
بالتواتر ، وبأن الأسرة استقرت في عدن ولا يستبعد أن ذلك قد تم أيام المهدي عباس
حين كانت سيطرة صنعاء قائمة على الجنوب بما فيها عدن .

المهدي عتّاس) - الذي ربما كان موكلًا بالسّجن أو سجيناً - يتلمذ في الحبّس « مع عبيده » على يد العلامة ابن الأمير : « ومال إلى محبة السنة النبوية والعمل بها ، ورافقته جماعة من عبيده وغيرهم ، ولازم البدر [ابن الأمير] للقراءة عليه في مؤلفاته وغيرها ، وبذل جهده في نصر السنة النبوية إلى أن وافاه الحياّم في السّجن في شهر رمضان سنة ١١٧٣ هـ [١٧٦٠ م] »^(١) .

ولا نذكر ما إذا كان الأمير أحمد الماس عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٠٨ هـ / ١٧٩٤ م هو ابن للأمير السابق أو هو تابع له أو هو الماس آخر ، لكنه كان مملوكاً لابن المهدي عتّاس المنصور علي ، وما يهمنا ذكره هاهنا هو أنه كان للأمير أحمد الماس هذا مملوك صار له شأن كبير في الفقه ، وعلم القراءات ، والنحو ؛ ذلك هو الشيخ العلامة ، المقرئ ياقوت أحمد الحبشي الذي كان من أصحاب المتوكل أحمد بن المنصور علي (ت ١٢٣١ هـ / ١٨١٦ م) ، واعتمد عليه مدّة في (قصر صنعاء) ، وكان « ملتبساً إلى العلم وحضور مجالسه وحلق التدريس فيه » فاستفاد من ذلك كثيراً ثم أخذ علوم الفقه والعربية والقراءات على كبار مشايخ صنعاء - بعضهم أساتذة الإمام الشوكاني ومشايخه - وربما زامل الشوكاني ؛ وأصبح « شيخ مشايخ القراء ، والإمام المرجوع إليه بصنعاء في علم القراءات السبع والثلاث الشواذ ، وعكف على التدريس في علم النحو وغيره ،

(١) الحوثي (مخطوط مكتبة علي أميري M.2399) : ٣/٢٢٩

وَاتَّفَقَ النَّاسُ عَلَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَالاعْتِرَافِ بِتَحْقِيقِهِ وَوَرَعِهِ وَزُهْدِهِ
وَتَدْقِيقِهِ .. « ^(١) وَقَدْ تُوُفِيَ بِصَنْعَاءَ سَنَةَ ١٢٤٧ هـ / ١٨٣٢ م » وَظَهَرَتْ وَرَقَةٌ
عِثْقَهُ مِنَ الْأَمِيرِ أَحْمَدَ الْمَاسِ فَكَانَ الْوَلِيُّ لَوَرَّثَتْهُ « ^(١) .

وَفِي الْعَوْدَةِ إِلَى التَّعَصُّبِ يَذْكُرُ لَنَا الْعَلَامَةُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الشُّوْكَانِيُّ
(ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) حَادِثَ فِتْنَةٍ شَبِيهَاً بِالْحَادِثِ السَّابِقِ وَقَعَ فِي
عَامِ ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م كَانَ عَلَى رَأْسِهِ أَحَدُ عُبِيدِ الْإِمَامِ الْمَنُصُورِ عَلِيِّ بْنِ
الْمَهْدِيِّ عَبَّاسٍ (ت ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م) اسْمُهُ ضِرْغَامٌ : « رَأْسُ مَالِهِ
الْإِطْلَاعُ عَلَى بَعْضِ كُتُبِ الرَّافِضَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى السَّبِّ لِلْخُلَفَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ
أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ ، فَصَارَ هَذَا [ضِرْغَامٌ] يَعْقِدُ فِي الْجَامِعِ وَيُمْلِي سَبَّهُ الصَّحَابَةِ
عَلَى مَنْ هُوَ أَجْهَلُ مِنْهُ .. « ^(٢) .

فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ فِتْنَةٍ نَصَحَ الشُّوْكَانِيُّ لَتَدَارِكُهَا بِحَبْسِ ضِرْغَامٍ وَأَمْثَالِهِ .

وَعَلَى عَكْسِ أَمْثَالِ ضِرْغَامٍ فَقَدْ بَلَغَ وَرَعَ بَعْضُ مَنْ أَوْلَّكَ الْعَبِيدُ غَيْرَ
مَا ذَكَرْنَاهُ عَنِ الْعَلَامَةِ يَاقُوتِ أَحْمَدَ الْحَبَشِيِّ ، أَنَّ أَحَدَهُمْ وَيَدْعَى الشَّيْخَ
الْمَاسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحَبَشِيِّ الَّذِي كَانَ مِنْ مَمَالِيكَ بَيْتِ الْمَالِ ، أَنَّهُ لَمْ يَعْتَدَّ
بِعِثْقِ الْمَهْدِيِّ عَبْدِ اللَّهِ لَهُ حَتَّى نَفَذَ عِثْقَهُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَزِيرِ
سَنَةَ ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٣ م وَكَانَ هَذَا الشَّيْخُ عَالِمًا كَبِيرًا ، فَاضِلًا ، لَهُ تَلَامِيذُ

(١) زبارة : نيل الوطر : ٣٧٤/٢ - ٣٧٥

(٢) الشُّوْكَانِيُّ : الْبَدْرُ الطَّالِعُ ٣٤٧/٢

معروفون ، وقد مات في سنة ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م^(١) .



لقد كان آخر أهمّ الأئمة من أسرة آل القاسم ، المهدي عبّاس الذي كان ألماس الأول من مَماليكه ، أوضح الأمثلة في كثرة المماليك واستخدامه لبعضهم في الجيش والإدارة . وقد خَلَفَ لنا الرّحالة ، العالم الألمانيّ المشهور كارستن نيبور (ت ١٨١٥ م) وصفاً طريفاً ومفيداً لبلاط المهدي عبّاس الذي استقبله في قصره في صنعاء في ٧ محرم عام ١١٧٧ هـ / ١٩ يوليو ١٧٦٣ م ، وكيف أن نيبور لم يتمكّن من شقّ طريقه عبر ساحة القصر إلا بمساعدة « النقيب جابر الله » الذي كان عبداً وبنات رئيس الخيّالة ، وفي وصفه للمهدي عبّاس يذكر لنا نيبور أن لون بشرته كان « قريباً من لون أمّه السوداء التي كانت جاريةً لأبيه فتزوجها »^(٢) ولم يَكُنْ هذا الأمر غريباً فكثير من الأئمة في اليمن وغيرهم من الخلفاء العرب كانوا يتزوجون بجوارٍ ذات أصول حبشية أو شركسية أو غير ذلك كما سبق أن ذكرنا .

خَلَفَ المنصور عليّ والدّه المهدي عبّاساً عام ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م^(٣) ، ولم يَغَيِّرْ في فترة حكمه الأولى أمراء الأجناد الذين كانوا على عهد أبيه ،

(١) زيارة : نيل الوطر ١٩١/٢ - ١٩٣

(٢) Niebuhr, Travels Through Arabia : I, 368 - 72

(٣) انظر عن حكمه كتابنا : مئة عام (ص : ٥١ - ١٤٧) .

وكان أهمهم الأمير فيروز (ت ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٨ م) والنقيب ريثحان الذي توفي في الفترة نفسها تقريباً ، وبوفاتها عيّن بدلاً منها من عبيده الأمير سروراً والنقيب جوهراً ، بيد أنها لم يلبثا أن عزلوا بعد وقتٍ قصير^(١) وقد كان المنصور متقلب المزاج شديد العقاب لوزرائه وموظفيه خاصة العبيد منهم ، ومن ذلك تنكيكه بالأمير « عنبر المهدي » عام ١١٩٧ هـ / ١٧٨٣ م فقد عزله من عمله في اليمن الأسفل وصادر أملاكه ؛ وإمعاناً في إهانته « أمر بإحضاره تحت طاقته بدار الفتوح وجرده من ثيابه وأمر بضربه وإسكانه ملّة الحَمَام^(٢) مُبالغاً في تعزيره ، فبقي بها شهراً .. ثم أخرجَه من الملّة وأودعه السّجن »^(٣) .

إن مثل ذلك الضرب والإهانة لم يقع على أحد من غير العبيد في الواقع ، ولعل السبب المُباشِر لذلك هو الأموال الكثيرة التي حصل عليها عنبر ورفضه مشاطرة سيّده له فيها ! كما يذكر مؤرّخ المنصور لطف الله جحّاف (ت ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٨ م) . وهناك حوادث أخرى مشابهة لإخفاء بعض الأمراء العبيد (في دولة آل القاسم) للأموال التي كانوا يحصلون عليها (ظلماً في الغالب) ، فالـمؤرّخ ابن الوزير (ت ١١٤٧ هـ / ١٧٣٥ م) يذكر لنا أن مملوك الأمير الحسن بن القاسم

(١) الشوكاني : البدر الطالع ٤٦١/١

(٢) ملّة الحمام : مخزن مكتوم يقع تحت الحَمَام (العام) ويخزن فيه وقوده الذي كان إلى وقت قريب من الروث والفضلات التي تجمع من بيوت المدينة و « الملّة » في الأصل تعني : الجمر والرماد الحار ، وتلفظ في اليمن بكسر الميم .

(٣) جحاف (ق : ١٢٤) وراجع : مئة عام ٧٧

(ت ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م) النقيب سعيد رِيحان الملقب بالرئيس كان قد تَبَوَّأَ عِدَّةَ مناصب منها ولاية الْمَخَا الهامة ثم يَرِيم التي توفي فيها عام ١٠٨٠ هـ / ١٦٧٠ م ، كما سبق أن اختير مرة لإمارة الحاجّ اليميني وذلك « لكمالِه واستمرارِ حُسْنِ أحواله » ، وبعد مَوْتِه « قبض مالاَ خطيراً أوصى به لجانب بَيْتِ المال »^(١) .

وفي العودة إلى المنصور علي ومماليكِه الأمراء في الإدارة والجيش نجد أنه بالإضافة إلى ظهور بعض القادة منهم في حَمَلَاتٍ عسكريّة أمَرَهُم عَلَيْهَا كالأمير سُورور في مواجهة الإمام الخارج عليه عليّ بن أحمد بن إسحاق (ت ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م) وقيادته للحروب ضده^(٢) ، والأمير ناجي وآخرين ، نجد أنه قد عزل يسر بن ألماس عن ولاية زييد عام ١٢٠٤ هـ / ١٧٨٩ م^(٣) ، وعَيَّنَ علي حَرَّاز الأمير سَعْدَ بن زياد في عام ١٢١٨ هـ / ١٨٠٣ م^(٤) وغيرهما في فترات أخرى . ولعل عَزْلَه في بداية حُكْمِه لأحد أولئك الأمراء العبيد ينمُّ عن وجه آخر لشخصية عجيبية فاسدة من أولئك الولاة العبيد .

فقد قام المنصور بعزل عاملِ الحَدِيثَةِ الأمير « سعد » الذي كان في

(١) ابن الوزير : طبق الخُلُوى (تحقيق محمد عبد الرحيم جازم ، مركز الدراسات اليمنية ١٩٨٥ م ، ص : ١٣٣ ، ١٣٢ ، ٢٩١) .

(٢) الشوكاني : البدر الطالع ٤٢٧/١

(٣) جحاف : (ق ١٧٥) .

(٤) نفسه : (ق ٣٣٢) .

الأصل عبداً ليحيى العلفي^(١) ساعده في كثير من المناصب الإدارية التي شغلها ، ولما توفي العلفي عينه المهدي عباساً عاملاً على « ريمة » وبعدها في مناطق أخرى في تهامة ، وقد أعطانا جحاف عن الرجل وأخباره صورةً عجيبةً . فلقد كان شجاعاً ، غنياً ، سخيّاً ، إلا أن سمعته كانت سيئة ، فقد نسبت إليه صناعة المركبات من المعاجين المخدرة ، والأشربة المسكرة ، وأنه كان يتخذ المماليك الحسان لخدمته ، فكانوا يدورون بتلك المعاجين والأشربة على ضيوفه من تجار وكتاب بيت المال وغيرهم . فكان الكاتب « بصيرٌ كالأعمى لا يفرق بين الاسم والمسمى ، فيكتب كما شاء الأمير ويفوته من الحاصل الكثير »^(٢) وكان لسعد قدرةً عجيبةً على حجب أخباره وأموره وفساد إدارته عن المهدي عباس . وسرد جحاف قصصاً كثيرةً حتى تمكن المهدي من معرفة بعض ذلك ، فعزله وصادر أملاكه . ومع ذلك فقد أعيد بعد سنوات لعمالة « ريمة » ، ثم « الحديدة » التي عزل منها أخيراً في الأيام الأولى من حكم المنصور ، ومات بعد ذلك بنحو أربعة أشهر (٥ من ذي القعدة عام ١١٨٩ هـ / ٢٧ ديسمبر ١٧٧٥ م)^(٣) .



(١) آل العلفي : أسرة برز منها في هذا العصر إداريون ووزراء وقضاة ، وكان لبعضهم عبيد اشترى بعضهم خلال أعمالهم الإدارية في مناطق تهامة (راجع عنهم كتابنا مائة عام ، والشوكاني البدر الطالع : ٤٦٥/١ - ٤٦٧) .

(٢) جحاف : (ق ١٤) .

(٣) جحاف : (ق ١٤ - ١٧) ، وراجع : مئة عام : ٦٦ - ٦٧ .

هـ - تجارة الرقيق

بين الغرب والشرق

(حتى نهاية القرن التاسع عشر)

« إنَّ الإنسانَ يولدُ حرّاً ، لكنّه لا يَلْبِثُ
أن يَكْبَلَ في الأَغْلالِ »

(جان جاك روسو)

(ت ١٧٧٨)

٥) تجارة الرقيق بين الغرب والشرق

حتى نهاية القرن التاسع عشر

مضينا في استعراضنا التاريخي حتى بُعِدَ حُكْمُ الْمَنُصُورِ علي (ت ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م) وسنعودُ إلى استكمالِ هذه النظرة التاريخية لنصل بها في خاتمة المطاف إلى إعلان الين « منع تجارة الرقيق » عام ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م وحتى نهاية حكم الإمام يحيى حميد الدين (١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م) ، وذلك بعد إلقاء نظرة على تطوُّر أحوال الرق بين الشرق والغرب بعد أن جعلَ منه الأوروبيون تجارةً أبيع فيها القرصنة في البحار والسطو على شعوب القارة السوداء وتقل أبنائها مستعبدين إلى العالم الجديد .

لقد مضتُ قرون طويلة على عالم الغرب منذُ الرومان وقوانينهم والشرائع القديمة التي كانت تعتبر العبدَ الرقيقَ شيئاً (res) لاشخصاً ، فلم يكن يحقُّ له أن يملك ، ولا أن يكون دائناً أو مديناً أو شاهداً ، بل كان يجوزُ تملكه كباقي الأموال ، وكان الرجلُ لا يسألُ إذا قُتلَ مملوكه^(١) .

لقد أدت ثروة روما المتزايدة « إلى ازدياد عددِ رقيق المنازل ، ومن ثمَّ نمتُ طبقة العبيد إلى أعدادٍ ضخمة ، فكانوا يوجهون للعمل في المسارح ،

(١) الموسوعة العربية : ٨٧٤/٢ ، و لتفاصيل أخرى راجع (دائرة معارف القرن العشرين

لمحمد فريد وجدي ، ط ٣ (١٩٧١) ، دار المعرفة ، بيروت) : ٢٧٦/٤

أو في مبارزات المَجَالِدِينَ [الدموية] ، كما كان بعضهم يُوجَّه إلى حذما للعمل في الدَّعارة ! وكان معظمُ العبيد من الأجانب ، كما كان بعضهم على درجةٍ عالية من الثَّقَافَةِ ، ومن ثَمَّ كانوا يُسْتَخْدَمُونَ كعالمين . وأصبح امتلاكُ حَاشِيَةٍ كبيرةٍ من العبيد من أهمِّ علاماتِ التَّرَفِّ ، وزاد الطلبُ على ذوي المظهر الأجنبي منهم وخاصة الأسيويين . وكانت ظروفُ الحياة في الرِّقِّ الزراعي ، وفي سائر أنواع الرِّقِّ غالباً ، ظروفأ وحشية في قسوتها ، كما انتشر استغلالُ المُقاطعات المقهورة .. «^(١) .

وفي عَصُور الازدهار للحَضارة العربية الإسلامية - التي أشرنا في البداية كيف ارتقى الإسلام بمفهوم الرِّقِّ فيها عن ذلك الذي كان شائعاً ومألوفاً في الشرق أو الغرب من قبل^(٢) - كانت أُرَبَّة تعيش فيما عرف بالعصور الوسطى في التَّاريخ الأوربي ، والممتدَّة حتى عصر النهضة وأوائل العصر الحديث ، حينَ كانت تتعامل مع الرقيق نفس ذلك التعامل القديم مع بعض التَّغيير في الأشكال والاحتياجات . وقد استمرَّ رقيقُ الأرض (القِنَّ) يباع أو ينتقل مع الأرض التي يعمل فيها إلى المالك أو الوريث

(١) قارن هذا الموقف للإنساني مع التشريع الإسلامي الذي ارتقى بالتعامل الإنساني مع الرقيق إلى أعلى درجاته ومن ذلك : أن من قَتَلَ عبداً قَتَلَ به كما هو عند أبي حنيفة ، كما أنه ورد في الأثر الشريف من حديث ابن عمر : « من لَطَمَ مَمْلُوكَةً ، أو ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يَغْتَبِقَهُ » : صحيح مسلم بشرح النووي ، ١٢٧/١١ ؛ وراجع نيل الأوطار للشوكاني : ٩٤/٦

(٢) راجع (ص : ١٢ - ١٦ فيما تقدم) ، وانظر حول الموضوع كتاب المستشرق آدم متز : (الحضارة العربية في القرن الرَّابِع) ترجمة عبد الهادي أبو ريذة .

التالي في نظام الإقطاع الأوربي حتى القرن التاسع عشر ، وكانت روسيا القيصرية من آخر الدول الأوربية التي بقي فيها ، بل إن الأمبراطور الشهير بإصلاحاته بطرس الأكبر (١٦٧٢ - ١٧٢٥ م) وضع رقيق الأرض في قائمة العبيد . ورغم الثورات التحررية وتوجهات عصر التنوير The Enlightenment Ages التي سبقت التشريعات والقوانين في القرن الماضي لتحريم تجارة الرقيق - التي سنأتي على ذكرها - فقد استمرت بعض صور العبودية في الغرب حتى القرن العشرين ، ومنها استخدام العبيد في السفن ذات المجاديف ، وهي عادة ظلت مستمرة باعتبارها عقوبة أشغال شاقة !.



لقد تمثلت بداية العصر الحديث بما أدت إليه اكتشافات الملاحين البرتغاليين على الساحل الأفريقي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر إلى استغلال زُوج أفريقيا عبيداً بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ ، وغدت زيارات تجار الرقيق المغيرين على السواحل الأفريقية عبر القرون الأربعة التالية تمثل تجارة هامة ومربحة ، لم يقلل من أهميتها ما اتصفت به من وحشية رهيبة . ولم تكن البرتغال ، ومن ثم أوروبا هي المكان الذي قدّر لرق الزوج أن ينتشر فيه ويغدو نظاماً مربحاً ، بل وبشكل أوسع في العالم الجديد^(١) .

(١) لعله من المصادفات التاريخية أن يحدث اكتشاف أمريكا عام ١٤٩٢ م في نفس العام الذي سقطت فيه (غرناطة) آخر معقل للعرب المسلمين في الأندلس ، وشكل ذلك =

إن الحديث يطول بنا لو توسّعنا في تتبّع الاستغلال الأوروبي للرقّيق الذي بدأ من نهاية القرن الخامس عشر ، بدايةً على يد الأسبان والبرتغاليين في جُزر الهند الغربية وفي أمريكا الوسطى والجنوبية ، وكان من بين ضحاياه الهنود الأصليون الذين لم يستطيعوا تحمّل مشاقّ نظام الرّقّ أو العمل القسري في الإقطاعيّات والضّياع العسكرية ، وكانت النتيجة أن أُبيدوا واستُوردَ الزنوج ليحلّوا محلّهم في أوضاع سيئة مُحرّنة ، ونكتفي لإيضاح جانبٍ منها بما أورده مؤرّخان أمريكيان معاصران حين ذكرنا :

« وكان العبيدُ الزنوج يُستجلبون في الغالب من الساحل الغربي لأفريقيا من (سنغامبيا) في الشمال ، إلى (أنغولا) في الجنوب ، وبعد ختام القرن السابع عشر عندما انتهى احتكارُ الشركة الأفريقية الملكيّة ، انتقلتُ تجارةُ الرّقّيق إلى أيدي مجموعةٍ كبيرةٍ من الشركات والأفراد

= الاتتصار النصراني على المسلمين فصولاً جديدة زاد فيها التعصّب الصليبي على المسلمين في الشمال العربي الأفريقي الذي أبيع في مياهه بل وأراضيه أخذَ المسلمين رقيقاً ، وقد زاد بذلك عدد المستعبدين من الأندلس حتى سقوطِ غرناطة « وقد كان ذلك تمهيداً لعصر الفتح والنصر والاستعمار فيما بعد حين انتشرت الجيوشُ الأسبانية في العالم القديم ، وفي العالم الأمريكي الجديد . »

وقد أيد المؤرخ (هـ.أ.ل. فشر) ما ذهب إليه بعضُ الباحثين من أن « الارتباط الوثيق بين العرش الملكي (الأسباني) والتعصّب الديني أهم أسباب انحلال الإمبراطورية الأسبانية وسقوطها في العصر الحديث » فشر : تاريخ أوروبا (العصور الوسطى) / الترجمة العربية / دار المعارف بمصر (١٩٦٦ م) : ٢٨٨/٢

« أمريكيين وبريطانيين على السواء » . وكُم من ثروات قامت في بوسطن ، ونيويورك ، ونيويورك ، وموانئ الجنوب على هذه التجارة . ولعل أكثر أسواقها رواجاً هي التي كانت تُعقد في تشارلستون ، حيث كان يتزاحم عدد كبير من الشركات . ولقد كُتب « هنري لورنر » ، الذي برز في هذه التجارة بضعة سنين فيما بعد ١٧٥٠ ، أن أصحاب المزارع كانوا يفقدون من مسافات طويلة ، ويقدمون بتحمس ما يصل إلى ٤٠ جنيهاً إسترلينياً مقابل الشاب من الزنوج ؛ وبينما كان العبيد يُباعون عادةً في الشمال من المستجلبين إلى المشتري مباشرة ، وتقداً ، وكانوا كثيراً ما ينقلون في الجنوب جماعات إلى التجار وغيرهم من الوسطاء الذين كانوا يبيعونهم بالمقايضة ، مقابل التبغ أو الأرز أو النيلة ! وكان رقيق الحقول يلبسون أسماً خشنه ، وينزلون في أكواخ حقيرة ، ويمارسون أشق العمل في الحقول تحت إمرة ملاحظين قساة القلوب .. »^(١)

وهكذا تزايد عدد العبيد في أمريكا حتى بلغ نحو أربعة ملايين ونصف المليون ، أو على وجه الدقة (٤,٤٤١,٨٣٠) عشية الحرب الأهلية عام ١٨٦١ م بين الشمال والجنوب ، كما تقرره الموسوعة البريطانية^(٢) .

(١) A Short History of United States, by: Allan Nevins and Henry Steele

Commager (1981),

وراجع الترجمة العربية (موجز تاريخ الولايات المتحدة) دار المعارف بمصر

(١٩٨٣ م) ص : ٤٢

Encyclopaedia Britannica: 16/861

(٢)

لقد اطرّدت الزيادة في السكان في القارات كافة بدءاً من القرن الخامس عشر الميلادي وما بعده ، باستثناء أفريقيا التي جرى تفريغها باستمرار من قواها الشابة والعاملة ونقلها إلى جهات مختلفة من العالم على امتداد القرون التي شهدت تجارة الرقيق ، ورغم أنه لا يوجد رقم دقيق للخسارة السكانية التي أصابت شعوب القارة وأثر ذلك في تخلفها الاقتصادي والاجتماعي ، فإن الجدول الآتي الذي قدّمه أحد الباحثين الأوربيين عن التقديرات لسكان القارات الثلاث بين عامي ١٦٥٠ و ١٩٠٠ يشير « إلى إجماع يسود بين الباحثين في مجال السكان مؤداه أن قارة أفريقيا الضخمة تميّز بسجل غير عادي من الركود في هذا المضمار ولا يُوجد سبب لذلك يمكن أن تتجه إليه الأنظار سوى تجارة الرقيق »^(١) :

القارة	عام ١٦٥٠	١٧٥٠	١٨٥٠	عام ١٩٠٠
أفريقيا	١٠٠ مليون	١٠٠ مليون	١٠٠ مليون	١٢٠ مليون
أوروبا	١٠٣ مليون	١٤٤ مليون	٢٧٤ مليون	٤٢٣ مليون
آسيا	٢٥٧ مليون	٤٣٧ مليون	٦٥٦ مليون	٨٥٧ مليون



(١) د. والتر روثني : أوروبا والتخلف في أفريقيا ، ترجمة د. أحمد القصير ، سلسلة (عالم المعرفة ١٣٢) ، الكويت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، والكتاب دراسة متعمقة لتاريخ التقدم في أوروبا والتخلف في أفريقيا (الغنية) وكيف أن « تجارة الرقيق الأوروبية ووصمة الاستعمار كانتا السببين الأساسيين وراء تخلف أفريقيا وركودها التقني .. »

العثمانيون ونظام العبودية

مضت بضعة قرون على تلك الحال التي عاشها العبيد في نظام الرق في عالم الغرب ، ولا بد من إشارة يقتضيها السياق التاريخي والموضوعي إلى ذلك النظام العبودي الذي استحدثه العثمانيون مع بداية نشأة إمارتهم في مطلع القرن الرابع عشر حتى سقطت القسطنطينية في أيديهم في تاريخ حاسم (٢٩ مايو سنة ١٤٥٣ هـ) ، شكل مادة الانتصار فيه وما تلاه من معارك وفتوحات غرباً وشرقاً ، نظام (عبودية) كان فريداً ، ويعتبر أوسع تجربة وتطبيقاً من نظام المماليك في مصر^(١) ؛ ذلك هو نظام (اليني شريه) ويعني (الجنود الجدد) والشائع في العريية باسم (الإنكشارية)^(٢) .

(١) لهذه التجربة نظير من الناحية النظرية في جمهورية أفلاطون ، ومن الناحية العملية في النظام المملوكي في مصر (١٢٥٣ - ١٥١٦ م) ويرى المؤرخ المرحوم الدكتور محمد أنيس أنها مع ذلك « اختلفت عن نظرية أفلاطون في أنها لم تكن محصورة في الأرستقراطية الهيلينية ، كما كانت أوسع مدى وتطبيقاً من نظام المماليك في مصر ، وهي إلى جانب هذا تتميز بعنصر ديمقراطي من نوع خاص بها لا يعرفه التاريخ .. فالنظام العثماني الحاكم وُضع عمداً بشكل يسمح للعبيد - الذين جلبتهم الدولة مختارة ، وتوصيلهم إلى مناصب الوزارة ، وتزويجهم من أميرات - أي أنها أحضرت هؤلاء العبيد المسيحيين ليحكموا دولة إسلامية .. » (د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي) : ص ٧٥

(٢) علق المؤرخ المرحوم الدكتور محمد زيادة في حاشية الترجمة العربية لكتاب (فشر) : تاريخ أوروبا (العصور الوسطى) - السابق ذكره - حول تسمية (اليني شريه) بأنها =

كانت الهيئة الحاكمة العثمانية بأكمليها من أصغرها إلى الوزير - عدا أفراد الأسرة المالكة - عبيد (السلطان) يطلق على الواحد منهم كلمة (قول) ، وهنا تبدو استبدادية السلطان بمعناها الصحيح ، إذ كان له التصرف بأرواح هؤلاء العبيد وممتلكاتهم ، وعلى ذلك فلا يمكن لفرد أن يدخل الهيئة الحاكمة إلا عن طريق (العبودية) الذي كان مفتوحاً فقط لعبيد نصارى من سن عشرة إلى عشرين . وكان أمام السلطان أربعة طرق للحصول على عبيده (بالأسر ، بالشراء ، بالهدايا ، وبالضريبة)^(١) وعندما كان يجلب أولئك الصبيان أو الغلمان من المناطق النصرانية في الإمبراطورية وشبه جزيرة البلقان والمجر والساحل الغربي لآسيا الصغرى ، والسواحل الجنوبية والشرقية للبحر الأسود ، كانوا يجبرون على الدخول في الدين الإسلامي ، ويدربون تدريباً جسمانياً وعقلياً حتى تظهر مواهبهم ويختار أحسنهم عقلاً وأليقهم جسماً ، ليُلحقوا بمدارس سلطانية خاصة ويكون منهم من يُستخدم في مناصب البلاط والدولة التي قد يتبوؤون فيها أعلى المناصب ، ويُؤخذ الباقون إلى الجيش حيث كان يطلق عليهم (عجمي أوغلان) أي (الصبية الغرباء) ليدربوا تدريباً عسكرياً خشناً ، ويُلحق معظمهم بفيالق المشاة المشهورة في

= الصيغة التي ينبغي استعمالها ، فهي في صيغتها الأوربية بل والتركية هكذا (Janissaiers) وبالتالي فإن ما دأبت الكتب المتداولة في اللغة العربية على تسمية هذه الفرقة باسم (الانكشارية) غير مطابق للأصل المسمى به ذلك النظام أو الفرقة (ص : ٤٨٨/٢ حاشية ١) .

(١) د. أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي (ص : ٧٤ - ٧٧) .

الجيوش العثمانية (باليني شريه) ، وكان من أقواهم المجلوبون من العنصر الألبانية والشعوب السلافية في جنوب أوروبا . وإذ يقرّر معظم المؤرخين عرباً وغربيين أن هذا النظام قد أخرج إلى العالم رجالاً على جانب كبير من الكفاية والمؤهبة ، إلا أنه كان يتضمّن إهمالاً للعاطفة الإنسانية ، وعدم الاعتراف بحق الآباء في تربية أطفالهم حسب دينهم وقوانينهم^(١) .

وخلاصة القول « أن الإمبراطورية قامت وظلت قائمة ، لا بفضل رجال من العثمانيين فحسب ، وأولئك لم يكونوا كثرةً في الجيوش العثمانية . بل نهض معهم في ذلك رجال معظمهم صقالبة الأصل ولدتهم أمهاتهم مسيحيين ، ثم جيء بهم إلى مدارس (الييني شريه) حيث طُبِعوا بطابع الخضوع العسكري والعقيدة الإسلامية ، وليس في استطاعة باحث أن ينكر أن أعظم رجال الإمبراطورية العثمانية جاؤوا إلى هذه المدارس بعد انتزاعهم من أهلهم المسيحيين » .^(٢)

يُبدّ أن نظام (الييني شريه)^(٣) تدهور ، وأصبح المسلمون يجنّدون في

(١) د. أنيس : ٧٥ ، وراجع : (الدولة العثمانية) للدكتور عبد العزيز الشناوي (الفصل السابع عشر) : ٤٧١/١ ومراجعته .

(٢) فيشر : تاريخ أوروبا : ٤٤٩/٢ - ٤٥٠

(٣) أطلق عليه الدكتور عبد الكريم رافق في دراسته القيمة (بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت) نظام (الدفشرمة Devshirme) أي (جمع الشبان) محيلاً في مصادره إلى بحث المستشرقين (جب Gibb و بويون Bowen حول نفس الموضوع) (انظر كتابه ص : ٤٢ والهامية فيها) ؛ وللدكتور رافق أيضاً مقال =

بعض ولايات الإمبراطورية ، وانهار نظام المدارس . واشتدَّت الفوضى والتمرد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر « وبعد أن كان الإنكشارية ، يُرهبون جيوش أوروبا ، خاصة في عهد السلطان سُليمان القانوني ، أصبحوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، يُرهبون بصورة متزايدة سلاطينهم العثمانيين إلى أن قَضَى عليهم السلطانُ محمود الثاني في عام ١٨٢٦ م »^(١) .



= مفيد بعنوان « مظاهر من الحياة العسكرية العثمانية في بلاد الشام » ، ذكر فيه أن (الانكشارية) مشتقة من الكلمتين التركيتين (Yeni/çeni) وتشيران إلى الفرق الجديدة تمييزاً لها من الفرق القديمة من الفرسان (السباهية) . وقد حرّفت الكلمة التركية بالعربية إلى (ينجيرية) وشاعت على أنها (إنكشارية) ، وكان السباهية من الفرسان ، أما الإنكشارية فشاة . (انظر : مجلة دراسات تاريخية ، العدد الأول ، دمشق ١٩٨٠ ، ص : ١٧) .

(١) د. رافق : بلاد الشام : ٤٢ - ٤٣ و ٧٣ - ٧٦

من القانون الأسود إلى الثورة الفرنسية

والدستور الأمريكي (١٦٨٥ - ١٧٨٩ م)

كان القانون الذي شُرّع لتفصيل أحوال الأرقاء يُدعى في كل الأمم الأوروبية والمعاصرة بالقانون الأسود . وبمقتضى (القانون الأسود الفرنسي) الذي صدر عام ١٦٨٥ م كان « إذا اعتدى (عبْد) على أحد الأحرار ، أو ارتكبَ جَرِيْمَةَ السَّرِقَةِ عَوْقَبَ بالقتل أو بِعِقَابٍ بَدَنِيٍّ آخَرَ . أما إذا أَبَقَ^(١) العَبْدُ فقد نصَّ القانون أن الآبَقَ في المَرَّةِ الأولى والثانية يتحمَّلُ عقوبةَ صَلَمٍ^(٢) الأذنين ، والكيِّ بالحديد المحمي ، فإذا أَبَقَ الثالثة قُتِلَ ! . وقتل الآبَقُ كان معمولاً به أيضاً في إنجلترا ، فقد نصَّت قوانينهم

(١) (الآبَقُ) في اللغة الهارب ؛ وشرعاً الرقيق الهارب تمرداً من مالِكه ، أو مستأجره ، أو مستعيره ، أو مودعه ، أو وصيه ، ولم يقتصر الفقه الإسلامي وعلم الفقهاء على معالجة وضع هذا (الآبَقُ) بل عالج أيضاً وضع سيده (المولى) ، و (الرّاد) أي الشخص الذي يقبض على الآبَقِ ، الهارب ، ليسلّمه إلى مالِكه ، وذلك من الوجهة الشرعية وبمناقشات وأحكام اتسمت بالعقلانية والإنسانية ، وبعضها بالطرافة والاستحسان ، وقد باتت في حكم التاريخ الفقهي ولم يبقَ لها سوى الفائدة التاريخية بعد اضمحلال نظام الرّق وانتهاؤه من العالم وعالم الإسلام منه فذلك كان غايته .

(٢) صَلَمَ الشيء قطعاً من أصله ، وصلّم الأذنين : قطعاً من أصلهما (اللسان) .

على أن من أبق من العبيد وتمادى في إبقائه قتل .. أما الاسترقاق في أمريكا الجنوبية فكان على غاية الشدة والقسوة ، وكان مقتضى القانون الأسود أن الحر إذا تزوج بأمة صار غير جدير بأن يشغل وظيفة في المستعمرة .. وكانت تلك القوانين (السوداء) تُصرّح بأنّ للسيد كلّ الحقّ على عبده حتى حقّ الاستحياء والإماتة !، وكان يجوز للمالك رهن عبده وإجارته والمقامرة عليه وبيعه .. إلخ كأنه بهيمة .. «^(١) .

إنّه لم يكن من المسموح به لذوي الألوان أن يحضروا إلى بلد كفرنسا لطلب العلم والاستفادة^(٢) ؛ وقد دامت الحال على هذا حتى تم القضاء على نظام الرّق بعد جهودٍ حثيثةٍ بشّرها (عصر التنوير) في القرن الثامن عشر . ففي هذا القرن انتشرت أفكار المصلحين والمفكرين الأوروبيين وبشكل خاص في فرنسا أمثال مونتسكيو (ت ١٧٥٥ م) فقد كان لكتاباتة الاجتماعية والسياسية ، ومن أهمها كتابه (روح القوانين) ، أثرها السياسي والتشريعي ؛ كذلك فولتير الذي تزعم حركة الفلسفة المادية ،

(١) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي : ٢٧٧/٤ - ٢٧٨

(٢) لقد ولدت السيطرة الأوروبية على أفريقيا وآسيا غطرسةً عنصريةً لازالت آثارها الآتمة ماثلةً في جنوب أفريقيا وروديسيا (زيمبابوي) وغيرها ، ومن الأمثلة الكثيرة على حظّر التعليم في بريطانيا على الملّونين أن الطالبة الأفريقية (كليا فوراه باي) من سيراليون سعت إلى الالتحاق بجامعة (دُرم DURHAM) البريطانية المعروفة وتحقّق ذلك عام ١٨٧٤ م أعلنت صحيفة التايمز « أن جامعة دُرم تنبغي لها أن تنسب إلى حديقة الحيوان بلندن ! » : (أوروبا والتخلف في أفريقيا ص : ٢٠٤) .

وتقدّر رجال السلطتين الكنيسية والمدنية بقلمه الرّشيق اللاذع ، وقد توفّي (عام ١٧٧٨ م) قبل شهر من وفاة معاصره الفيلسوف الاجتماعي جان جاك روسو صاحب (العقد الاجتماعي) وغيره من الكتب ، وكانت مبادئه شبه إرهابيات لقيام الثورة الفرنسيّة ، وهو الذي أطلق ذلك القول المشهور في (عقده) « إن الإنسان يولد حراً لكنّه لا يلبث أن يكبل في الأغلال » ولا ريب في أن القارئ العربي يذكر المقولة الخالدة للخليفة الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) - قبل نحو أربعة عشر قرناً - حين وجه خطابه لعمر بن العاص في الموقف العادل المعروف : « متى استعبدتُم الناس وقد ولدتُهم أمهاتهم أحراراً ؟! » .

لقد انتشرت تلك الآراء والأفكار ، واشتد معها الهجوم والنقد لتجارة الرقيق ، وكانت الثورة الفرنسيّة (١٧٨٩) نتيجة لها ، فكان شعارها (الحرّيّة والإخاء والمساواة) إيذاناً باقتراب نهاية تجارة الرقيق ومن ثمّ تحريم الرق على مراحل ، فقد أعلنت الثورة تحرير العبيد بما في ذلك الرقيق في مستعمراتها ، وإن كان نابليون بونابرت أعاد العبوديّة في بعض المستعمرات عام (١٨٠٢ م) واستمرّ ذلك حتى عام الثورات (١٨٤٨ م) التي هزّت فرنسا وأوروبا كلّها ، وسعت في إبطال الاسترقاق تماماً^(١) .

(١) Britannica, 16:882 ، وعلى عكس ما فعله نابليون في بعض تلك المستعمرات الفرنسيّة ، فإنّ ما له مغزاه ما قام به وهو في طريقه إلى الشرق عام ١٧٩٨ بتحرير ألفين من المسلمين البربر الذين بقوا مأسورين في جزيرة (مالطا) بعد أن باع منهم فرسان الجزيرة ألفاً من أوائل النصف الأول من القرن الثامن عشر للبحريّة =

وفي بريطانيا نشِطَ دُعاةُ المذهب الإنساني (Humanism) في النصف الثاني للقرن الثامن عشر ، فقد جَعَلُوا مِنْ إلْغَاء الرِّق جزءاً مكملاً لمُفْهَومِ النِّصْرَانِيَّةِ فِي نَظَرِهِمْ^(١) فَنَجَحُوا فِي اسْتِصْدَارِ قَوَانِينِ عَامِ (١٨٠٩ م) الَّتِي تَحَرَّمَ تِجَارَةُ الرِّقِيقِ الْبَرِيطَانِيَّةِ ، وَاسْتَمَرَّتْ تِلْكَ الْجُهُودُ فَتَكَوَّنَتْ فِي عَامِ (١٨٢٣ م) جَمِيعَةُ لِدَاعَةِ مَعَادَاةِ الرِّقِ ، شَنَّ قَادَتُهَا حَمَلَةً شَعَوَاءَ ضَدَّ نِظَامِ الرِّقِ وَالْعِبُودِيَّةِ فِي الْمُسْتَعْمَرَاتِ الْبَرِيطَانِيَّةِ ، سَاعَدَتْ أَحَدَ مُمَثِّلِيهِمْ فِي الْبَرْلَمَانِ الْبَرِيطَانِي (توماس فوول بكستون T.F.Buxton) عَلَى مُوَاصَلَةِ دُورِ سَلَفِهِ الْمَقُودِ (وَلِبَرْفُورْس Wilberforce) وَأَنْ يَنْجَحَ فِي إِقْنَاعِ الْبَرْلَمَانِ بَعْدَ مُنَاقَشَاتٍ طَوِيلَةٍ أَفْحَمَ فِيهَا خُصُومَهُ ، فِي إِصْدَارِ قَانُونِ عَامِ ١٨٣٣ « بِتَحْرِيرِ كُلِّ الْعَبِيدِ (الرِّقِيقِ) فِي الْمُسْتَعْمَرَاتِ الْبَرِيطَانِيَّةِ بَعْدَ فِتْرَةٍ إِعْدَادَ لِدَلِكَ تَمْتَدُّ مِنْ ٥ - ٧ سِنَوَاتٍ مَعَ تَعْوِيزَاتٍ لِلْمَلَائِكِ »^(٢) .

إِنْ بَعْضَ الدِّرَاسَاتِ الْحَدِيثَةِ تَذْهَبُ فِي تَحْلِيلِ الْمَسَاعِي الْبَرِيطَانِيَّةِ إِلَى إِلْغَاءِ الرِّقِ لَمْ يَكُنْ مَصْدَرُهُ إِلَّا الْحَرَصُ عَلَى الْمَصَالِحِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ ، ذَلِكَ أَنَّ

= الفرنسية ، وقام عشرة الاف منهم بثورة أجهضت في عام ١٨٤٩ (Ency. of Islam,) (I: 34) .

(١) نصّ (الإنجيل) : عَلَى أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِخْوَانٌ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْصُ عَلَى مَنَعِ الْاِسْتِرْقَاقِ ، وَلِذَلِكَ أَقْرَبَتْهُ جَمِيعُ كُنَائِسِ النَّصَارَى عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا ، وَلَمْ تَرَفِ فِيهِ أَقْلٌ حَرَجَ . وَقَدْ جَاءَ فِي رِسَائِلِ الْخَوَارِئِيِّينَ « بُولُس » وَ « بَطْرُس » بِوَاجِبِ الْعَبِيدِ فِي الْخُضُوعِ وَالطَّاعَةِ لِمَوْلَاهُمْ .. الْخ (رَاجِعْ : دَائِرَةُ مَعَارِفِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ : ٢٨٠/٤) .

(٢) Britannica, 16: 862

الرّق بعد أن حقّق ثروة كبيرة في النظام الاقتصادي التجاري الغربي ،
غدا غير مُربح في ظلّ الرأسمالية الصناعيّة النّامية التي احتلّت عرش
الاقتصاد في القرن التاسع عشر ، وأذنتُ بمرحلة جديدة من الإمبريالية
والاستعمار^(١) . إن هذه النظرة - على صِحّتها - لا تُلغي تلك الجهود
الإنسانية والخيرة التي بُذلت لإصدار تشريعات عام ١٨٣٣ والتي أعقبها
القضاء التدريجي على الرّق في جميع البلاد الخاضعة للامبراطورية التي لم
تكن تغرب عنها الشمس .



لقد انعكس الكثير من الأفكار والآراء الجديدة التي حملها عصرُ
التنوير في أوروبا على أمريكا ، فقد كان هناك قدّر كبير من الاتجاه
الإنساني إلى تحرير العبيد ، ونصّت وثيقة إعلان الاستقلال (٤ يوليو
١٧٧٤ م) بالمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات^(٢) إلا أن المشكلة
كانت أكبر وأعمق مما كان يظنّ المتفائلون والمتحمّسون ، ولهذا فقد أخذتُ
قضية مركز العبيد وموضوع تحريم تجارة الرقيق مع قضايا أخرى أعظم
الجدل والمناقشات عندما وُضع « دستور الولايات المتحدة الأمريكية »

(١) لمزيد من التفاصيل راجع (أوروبا والتخلف في أفريقيا) مرجع سابق (ص : ١٣٧ -
٢١٢) .

(٢) جاء في إعلان الاستقلال (٤ يوليو ١٧٧٦ م) « إننا لنؤمن بالحقائق البديهيّة التي
تقرّر أن الناس جميعاً خلّقوا سواسيّة ، وأن الله وهبهم حقوقاً مُعيّنة ثابتة ، منها حقُّ
الحياة والحرية والسّعي لتحقيق السّعادة ... » .

الذي اعتمد أخيراً في ٢٥ يونيو ١٧٨٨ م ، وإذا كان ذلك إنجازاً حاسماً بالفعل^(١) ، فإن النصوص المتعلقة بالرّق بصورة مباشرة أغفلت عن عمد ، ومنع الكونغرس (البرلمان) من إلغاء تجارة الرقيق لمدة عشرين عاماً . ومرة ثلاثة أرباع القرن من تاريخ الولايات المتحدة بعد إعلان الدستور واختيار جورج واشنطن (١٨٨٩ م) أول رئيس لهذه الدولة الفتية الغنية المتوئبة ، ومشكلة العبيد تزداد تعقيداً وتحوّل مع السنين إلى قضية سياسية بعد أن كانت إنسانية وأخلاقية ، لا تخمد نارها ، وتركزت في منتصف القرن بعد تسوية سنة ١٨٥٠ في إصرار المتطرفين وأصحاب المصالح في الولايات الجنوبية بالتمسك بحق وجود الرقيق في جميع المقاطعات ، بينما أكد أهل الشمال رأيهم القائل بأن لا حقّ هناك لوجود الرقيق في أي منها .

واستصدر الجنوبيون القوانين المرسّخة للعبودية ومنها (قانون العبيد الأبقين الهاريين) الذي كان جزءاً من تسوية عام ١٨٥٠ ، فقد تعرض فيها نحو عشرين ألفاً من العبيد الهاريين إلى الشمال للاعتقال ثانية ، لقد رفض كثيرون من الشماليين تنفيذ قانون العبيد الهاريين ، وأنطلق الكتاب والشعراء بشعارات « لا ، لا أغلال في خليج ولايتنا ، ولا رقيق على أرضنا ! »^(٢) كما ألهم ذلك القانون التعميس الكاتبة (هاريت بيتشرستو

(١) راجع : موجز تاريخ الولايات المتحدة (مرجع سابق) ، الفصل الخامس : (وضع الدستور) : ص ٩٤ وما بعدها .

(٢) موجز تاريخ الولايات المتحدة : ١٨٨ - ١٩٢

Uncle Toms Cabin (H. Beecher Stowe) روايتها ذائعة الصيت (كوخ العم توم Toms Cabin) التي ظهرت سنة ١٨٥٢^(١) ورسمت صورة قاتمة للرّق ، بلغ من قوّة وقعها أنّها أثارت شعوراً عميقاً في الشمال والجنوب معاً . لقد أظهرت الأنسة ستو في روايتها « كيف أنّ القسوة كانت نداءً لا ينفصل عن الرّق ، وكيف أنّ مجتمعي الأحرار والعبيد كانا متناقضين في جوهرهما فلا سبيل للجَمْع بينهما » . وقد عبّر عن هذا المعنى بقوّة ووضوح محام طويل نحيل من « إيللينوى » بدأ يبرز مع ازدياد نفوذ زعماء « أرض الحرية » ذلك هو « إبراهيم لينكولن » الذي أظهر في هذا الوقت العصيب قوّة منطقي مذهلة في مناقشة المسائل الجديدة ، فقد أعلن في خطاب له في (١٧ يونيو ١٨٥٨ م) :

« أن يثبتاً مُنْقِصاً على نفسه لا يستطيع البقاء ، وإنّي أعتقد أنّ هذه الحكومة لن يُكْتَبَ لها استقرار أو بقاء ، مادام نصفها أرقاء والنصف الآخر أحراراً »^(٢) .

(١) تُرجم الكتاب إلى مايزيد على عشرين لغة (منها العربية حديثاً) وبيع منه في الإمبراطورية البريطانية آنذاك أكثر من مليون نسخة ، وبعد أن حُوّل إلى مسرحية أذهلت أعداداً هائلة من النظارة الذين كان للنشء الجديد منهم تحوّل حاسم لصالح دعاة تحرير العبيد .

(٢) انظر : موجز التاريخ الأمريكي (١٩٨٨ م) : ٧٢ - ٨٥ ، ومن الدّراسات الكثيرة عن (لينكولن) كتاب :

Benjamin Platt (Thomas) : Abraham Lincoln: A Biography, Alfred A. Knopf, 1952

وبعد عامين كان (لينكولن) هو مرشح الحزب الجمهوري الذي تم تشكيله بمبادئ مضادة للرق بصورة قاطعة ، وكان أكثر الشخصيات شعبية ليمثل إرادة الملايين ممن أعلنوا أنهم لن يسمّحوا بغد للرق ، وكان فوز (لينكولن) بمنصب رئاسة الجمهورية تصويتاً شعبياً في جانب سياسة الحد من الرق والسماح (للرقيق بدخول أي إقليم) ، وهو المبدأ الذي تشبّث به ، فانطلقت حرب التحرر بين الشمال والجنوب^(١) (١٨٦١ - ١٨٦٥ م) . وكان انتصار الشمال في تلك الحرب الأهلية يعني وضع نهاية للرق في الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان (إعلان التحرير) الذي أصدره لينكولن بداية لكثير من التشريعات الفعالة التي تبعتها ، وخاصة التعديل الثالث عشر للدستور الأمريكي^(٢) ، كما أن اغتيال (لينكولن) (١٥ إبريل ١٨٦٥ م) على يد أحد المعتصّبين للنخاسة ، بعد تجديد انتخابه ثانية كان حافزاً لإكمال المسيرة التي دَفَعَ حياته ثمناً لها^(٣) .



(١) كان عدد ولايات الشمال ثلاثاً وعشرين ولاية مجموع سكانها ٢٢ مليون نسمة ، مقابل إحدى عشرة ولاية في الجنوب يسكنها تسعة ملايين .

(٢) راجع موجز تاريخ الولايات المتحدة : ٢٠١ - ٢١٧ ، والموسوعة البريطانية :

Britannica 8:862

(٣) إذا كانت أمريكا بعد ذلك قد قَضَتْ على العبودية الرسمية ، فقد أُنْصَحَتْ العلاقات بين الزنوج (حَفْدَةُ الأَرْقَاء) والمعتصّبين البيض بما هو معروف في التاريخ المعاصر من تفرقة عنصرية ، حيث بلغ منها التعصّب أوجّه باغتيال (مارتن لوثر كنج) زعيم « الحقوق المدنية » ورجل السلام وذلك في (٤ إبريل عام ١٩٦٨ م) في مدينة ممفيس بولاية تينسي ، في نفس الشهر الذي قُتِلَ فيه الرئيس لينكولن قبل ذلك بقرن وثلاث سنوات !

جُهودةٌ دُولِيَّة

في الرُّبعِ الأخيرِ مِنَ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ كَانَتِ القُوَى الكُبْرَى ، وأهمُّها بَرِيطَانِيَا وَفَرَنْسَا ، قَدْ تَبَنَّتْ بِشكْلِ أُسَاسِي قَضِيَّةَ تَحْرِيمِ الرِّقِّ وَالاِتِّجَارِ بِالرَّقِيقِ ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ دَخَلَتْ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فِي مَرَحَلَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الاِحتِلَالِ بِالقُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ لِشُعُوبِ أَفْرِيقِيَا وَأَسِيَا^(١) هِيَ مَرَحَلَةُ الاِسْتِعْمَارِ وَالاُمْبِرِيَالِيَّةِ الكُوْلُونِيَّةِ الَّتِي اِمْتَدَّتْ حَتَّى عَصَرِنَا الْحَدِيثِ . وَلَعَلَّهُ مِنْ غَرِيبِ الْمَفَارِقَاتِ أَنْ بَعْضَ دَعَاوَى ذَلِكَ التَّدْخُلِ وَالاِحتِلَالِ كَانَتْ بِغَرَضِ « الْقَضَاءِ عَلَى جُذُورِ مَنَابِعِ شُرُورِ الرِّقِّ فِي مَنَبَعِهِ ! »^(٢) وَكَيْفَمَا كَانَ الْأَمْرُ فَقَدْ تُنَوِّدِي إِلَى عَقْدِ مُؤْتَمَرِ دِبْلُومَاسِي دُولِي فِي بَرْلِينِ فَعَقِدَ عَامَ ١٨٨٥ م وَتَخَّضَ عَنْ (اتِّفَاقِيَّةِ بَرْلِينِ) الَّتِي تُلْزِمُ الدُّوَلِ الْمَشَارِكَةَ وَمِنْهَا دُولُ إِسْلَامِيَّةٍ بِمَقَاوِمَةِ تِجَارَةِ الرَّقِيقِ « وَبِشكْلِ خَاصٍ تِجَارَةِ الرَّقِيقِ الزَّنْجِيِّ » .

وَبَعْدَ ذَلِكَ بِخَمْسِ سِنَوَاتٍ عَقِدَتِ الاِتِّفَاقِيَّةُ الدَّوْلِيَّةُ الثَّانِيَّةُ (اتِّفَاقِيَّةُ بَرُوكْسَلِ عَامَ ١٨٩٠ م) الَّتِي وَقَّعَتْ عَلَيْهَا ١٨ دَوْلَةً كَانَتْ مِنْ بَيْنِهَا ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الدُّوَلِ الْأُورُوبِيَّةِ الرَّئِيسِيَّةِ (أَمْرِيكَا ، وَتُرْكِيَا ، وَإِيرَانُ وَزَنْجِبَارُ) وَهِيَ دُولٌ لَمْ تَكُنْ بِشكْلِ أَوْ آخَرَ قَدْ أَعْلَنْتْ بِحَسْمٍ مِنْ قَبْلُ

(١) جَرَى اِحتِلَالُ مُعْظَمِ أَقْطَارِ أَفْرِيقِيَا فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ ، وَمِنْ بَيْنِهَا مِنَ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَزَائِرُ ١٨٣٥ ، وَمِصْرُ وَالسُّودَانُ ١٨٨٢ ، وَبِنَاءً عَلَى الاِتِّفَاقِ الْوَدِيِّ (١٩٠٤) أَطْلَقَتْ فَرَنْسَا يَدَ بَرِيطَانِيَا فِي الْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ مُقَابِلَ إِطْلَاقِ يَدِ الْأَوَّلَى فِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ .

(٢) Britannica : 8 : 863

تحریم العبودية وتجارة الرقيق^(١) ومع ذلك فقد وقعت بعض حوادث خرق لتلك الاتفاقات كان أبرزها متعلقاً بالكُنْغُو (البليجيكي) ، وتسخير الهُنود في (بيرو) ، بالإضافة إلى عَدَم تَمَكُّن إمبراطور الحبشة من انتقال هذه التجارة خارج الحبشة التي كانت نشطة في البحر الأحمر .

وأخيراً نهَضَتْ عَصْبَةُ الأمم المتحدة الناشئة بعد الحرب العالمية الأولى بدراسة عالمية واسعة النطاق ، بقصد إلغاء الرّق ، وقد كانت بوادِر نجاحها في مؤتمرها الدولي عام ١٩٣٦ م . بيد أن العمل في تجارة الرقيق استمر موجوداً في آسيا الوسطى وفي أجزاء من الصّين والجزيرة العربية ، وفي أجزاء مختلفة من أفريقيا وخاصة ليبيريا وأثيوبيا (الحبشة) حيث كان وُجُودُهُ في الأخيرة هو الأساس الذي اعتمد عليه جهاز الدعاية التابع (لموسوليني) لتسويق غزوهِ للحبشة عام ١٩٣٥ م^(٢) .



(١) Britannica : 8 : 863

(٢) الموسوعة البريطانية (Britannica) : 8:863 ، والعربية : ٨٧٦/٣ ، وانظر : موسوعة تاريخ العالم ، لوليم لانجر (الترجمة العربية) : الجزء (٦) .

٦ - العبيد في اليمن

حَتَّى تاريخِ تحريمِ تجارةِ الرِّقِّيقِ
(١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م)

٦) العبيدُ في اليَمَن حتَّى تاريخِ تحريمِ تجارةِ الرِّقيق

رسمياً عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م

تميّزتِ الفترةُ التي أعقبتُ وفاةَ المَهْدي عبدِ الله (ت ١٢٥١ هـ / ١٨٣٥ م) حفيدِ المنصورِ عليٍّ بفوضى واضطرابِ أحوالٍ يتنافس فيها عدد من الأئمة الضعاف لم يكنْ لبعضهم إلا خطبة الجمعة^(١) مجردين من الحول والطول والسلطان . دَعُ عنك امتلاكُ العبيدِ أو التسرّي بإماء من الرِّقيق ! وكانت هذه الفترة إرهاباً لعودةِ العثمانيين الأتراك وقد اقتصر وجودهم من عام ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٩ م على الحُدَيْدة وموانئ الساحل ، حتى كان فتحُ قناةِ السُّويس (عام ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م) ثم لهم الاستيلاء على صنعاء عام ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢ م واستمر وجودهم حتى انسحبوا في نهاية الحرب العالمية الأولى ١٣٣٦ هـ / ١٩١٨ م . وكان الإمام يحيى حميدُ الدِّين - بموجب توقيعه معهم اتفاقية (دَعَان) عام ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م هو الحاكم والوارث الشرعي لما عُرِفَ (بولاية الين^(٢))

(١) راجع كتابنا : (فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى الين) .

(٢) كانت ولاية الين أو (ين ولايتي) تضمُّ في تقسيمها الإداري أربعة أقضية أو

(سناجق) هي : (صنعاء ، الحديدة ، عسير ، تعز) انظر خريطتها مع خرائط

الولايات العربية الأخرى في كتاب الدكتور إبراهيم خليل أحمد : (تاريخ الوطن =

في حين استمر الوجود الاستعماري البريطاني لعدن والجنوب منذ احتلال
عدن في مطلع عام ١٨٣٩ م (١٢٥٤ هـ) .

لم تعرف اليمن في ظل الحكم العثماني الأخير ظاهرة الاتجار بالرقيق ،
أو وجود أسواق للنخاسة كتلك التي انتشرت في القارة الأفريقية ، ونشط
- على سبيل المثال - الحديوي إسماعيل حاكم مصر في شن حملات عسكرية
إلى قلب أفريقيا للضرب على أيدي النخاسين وتحرير الأرقاء ، خاصة
بعد أن وقّع مع بريطانية اتفاقية في عام ١٨٧٧ م للتعاون بهذا الصدد^(١) ؛
ولهذا فإنه باستثناء ما سذكّره عن تهامة ، لم تكن ظاهرة امتلاك عبيد
أو إماء إلاّ حالات نادرة معدودة معروفة^(٢) ، من ذلك امتلاك الشيخ
محمد البليبي الذي كان عاملاً بصنعاء متعاوناً مع الأتراك وأخيه علي باشا^(٣)
أربعة عبيد وعدداً من الإماء . وحين دخل الإمام يحيى حميد الدين صنعاء
في عام ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م كان معه عبد واحد ورثه عن أبيه المنصور هو

= العربي في العهد العثماني ١٥١٦ - ١٩١٦ م) ، وزارة التعليم والبحث العلمي / جامعة
الموصل : (ص ٤٥٨) ؛ وبموجب اتفاقية (مدروس Mudros) سنة ١٩١٨ بعد
هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى تحررت رسمياً جميع الولايات العربية من الحكم
التركي لتقع باستثناء اليمن والحجاز في يد الاستعمار الأوروبي .

(١) راجع الموسوعة الإسلامية : مادة (C_{ABD}) والعربية : ٨٧٥/٢

(٢) تعتمد معلوماتنا - غير المرجعية - هاهنا على استفسارات وإجابات حصلنا عليها من
بعض المصادر الموثوقة المعاصرة للفترة وسيكون الفضل لمن يزودنا بأي إضافة
أو تصحيح .

(٣) قتل في معركة خارج صنعاء في ٦ ذي الحجة سنة ١٣٠٩ هـ / ١ يونيو ١٨٩٢ م (انظر :
زيارة (أئمة) ٨٣/١ - ٨٤) .

الأمير صمصام ، الذي كان على درجة محودة من العلم وحسن المعشر ، وقد
عُمر وشغل بعض الأعمال حتى تُوَفِّي بَعِيد الثورة في سنة
(١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) .

وكان من المعاصرين لتلك الفترة وعرف عنهم امتلاكهم لعبدٍ أو اثنين
الشيخ حمود شريان الذي كان له أملاك في موطنه (خَبان) ، وكان كثير
الإقامة في صنعاء ، وعُرف عنه ظرفه ونقده للإمام يحيى والحاج محمد
تلها^(١) . وبعض المشايخ كال أبي رأس في بَرط ، وآل الرصاص في البيضاء .

بيد أن التزوّج بإماءٍ وجوارٍ حبشيّات الأصل شهد انحساراً ثم اضمحلالاً
بعد أن كان منتشراً في طبقة التجّار وبعض الموسرين من الأسر ، وذلك
عن طريق التواصل والتجارة مع الحبشة ، ومنهم بعض تجّار الحُدَيْدة
وتعزّ وصنعاء^(٢) .

أمّا في تهامة فقد كان الأمر مختلفاً وله جذورة التاريخيّة^(٣) ، وساعد
وقوع المنطقة على مقربة من شاطئ البحر الأحمر بعض الأسر المتنفذة

(١) هو والد المرحوم الوطني محمد بن محمد تلها الذي كان محافظاً للعاصمة صنعاء بعد الثورة
سنة ١٩٦٥ م ، وقد توفي سنة ١٩٧٣ م .

(٢) أمكنني الحصول على اسم نحو عشرين أسرة في عدة مدُن منها من تجّار صنعاء أمثال
(بيت السنيدار) و (بيت الزبيري) و (بيت دلال) ، وعرف للحاج حمود شميّلة
امتلاكه عبداً كان يُساعده في تجّارته وجارية لخدمته ورعايته ، لأنه كان قطعياً ،
وكان لبعض الأسر من فروع بيت القاسم بن محمد جوار تزوّج وخلف بعضهم مِنْهُنَّ .

(٣) راجع (ص : (٢٢) فيما سبق وما بعدها) وانظر معجم الحجري : ١٥٦/١ - ١٦٢ :

والتي كانت تملك أراضي زراعية أوسع من تلك القطع الصغيرة في مدرجات الجبال وصغار الوديان ، ساعدهم في أن يجتلبوا بين وقت وآخر حاجتهم ممن يزرع تلك الأراضي الخصبة المروية بفيضانات الوديان الشهيرة كوادي مور ورَمَع وسهام وسرُدد ، فكثرت نسبياً وجود العبيد لدى تلك الأسر أمثال (بيت هيج) والسيد (قوسم) صاحب المنيرة ، وآل الفاشق أصحاب قبائل الزرائيق وأمثالهم ممن كانوا يتخذون العبيد أيضاً للحراسة والإماء زوجات .

وفي عام ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م عيّن الإمام يحيى ابنه الثاني البدر محمداً أميراً (محافظاً) على لواء الحديدة بعد عودته من زيارة لروما ومصر^(١) ، وقد أمضى في منصبه أربع سنواتٍ حتى مات غرقاً في البحر في (١٥ ذي الحجة ١٣٥٠ هـ / ٢٢ مارس ١٩٣٢ م) ويبدو أن البدر هذا قد تأثر بحياة أهل تهامة وعاداتهم الشائعة حتى وقته ، فاشترى عدداً من العبيد والإماء الصغار ترك منهم عشرةً بعد غرقه ، فألحقهم والدّه (بدار الأيتام) في صنّعاء ، وعُرف منهم « باشه ، وبرو » ، وكنا أخوين ، ومبروك ، وعبد الله ، وعنبر ، ولكن الأول منهم (باشه) كان شرساً شاذاً سيئ الأخلاق ، فتأمر عليه زملاؤه في دار الأيتام وأماتوه غرقاً في ماجل الأمير خارج سور صنّعاء القديمة^(٢) ، أما الباقيون منهم فقد ألحقهم

(١) راجع عنه كتابنا (المنار والين) : ١٧٤ - ١٧٦

(٢) عن الأخ العالم التربوي الأستاذ العزّي محمد بن حسن التريمي مُستشار وزارة التربية والتعليم حفظه الله .

الإمام يحيى بحرسه الخاص وترقى منهم (عُنْبَر) فكان حامل سيف الإمام
ومعدوداً من الحاشية بعد أن مُنِحَ لقب الأمير ، وهو ما يذكّرنا بما سبقت
الإشارة إليه من حمل أسلاف عُنْبَر لهذا اللقب الذي شاءت الأقدار أن
يكون آخرهم في تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ، وقد عاش حتى تُوفّي
مؤخراً بعد الثورة بزمنٍ قليل .



٧ - الإعلان اليماني - البريطاني

في منع تجارة الرقيق

(١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م)

كانت المعاهدة (الينية الإيطالية) المبرمة في ٢٤ صفر ١٣٤٥ هـ / ٢ سبتمبر ١٩٢٦ م ، أول معاهدة يُعقدها الإمام يحيى مع دولة أجنبية ؛ وترجع أهميتها « إلى أنها أول اعتراف دولي باستقلال اليمن ، وأن الإمام ملك مستقل ، وتعتبر المعاهدة كذلك تنويعاً لمجهودات إيطالية الدبلوماسية في المنطقة ، وفي مجال منافستها الاستعمارية مع إنجلترا بالذات »^(١) .

وليس من شك في أن الإمام يحيى قد أراد حليفاً قوياً يواجه به الخطر البريطاني في الجنوب الذي استمرت اعتداءاته التي بلغت ذروتها في قصف الطائرات البريطانية للمدن اليمنية عام ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م فيما عُرف بسنة الطائرات^(٢) ، وإذ ذرت مشاكل الحدود الشمالية مع المملكة العربية السعودية قرنها تميزت السنوات التالية لعام ١٣٥٠ هـ / ١٩٣٢ م بسياسات

(١) السيد مصطفى سالم (الدكتور) : تكوين اليمن الحديث (ط ٢) : ٥٢٦ ؛ وانظر

كتابتنا (المنار واليمن ١٨٩٨ - ١٩٣٥) : ١٤٥ - ١٤٨ ، ٤٦١ - ٤٧٢

(٢) وقع الإمام يحيى في مطلعها اتفاقية صنعاء مع الاتحاد السوفيتي : (١٧ جمادى الأولى

١٣٤٧ هـ / أول نوفمبر ١٩٢٨ م) .

التفاوض والنفس الطويل ، تلك السياسات التي لم تفلح في تجنب وقوع حرب محتمة في الشمال^(١) ؛ لكن كان من نتائجها في الجنوب « معاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بين اليمن وبريطانيا » وقد جرى التوقيع عليها في صنعاء (يوم ٢٦ شهر شوال ١٣٥٢ هـ / ١١ فبراير ١٩٣٤ م) بعد مفاوضات طويلة كان آخرها تلك التي أجراها وحام عدن المستر (ب.آر. رايلي B.R.REILLY)^(٢) في صنعاء ، واستمرت شهرين ، كما ذكرت صحيفة الإيمان في عددها / ٩٠ / الصادر في اليوم التالي لمغادرته العاصمة في طريق عودته بعد يومين من توقيع المعاهدة باسم الملك جورج ، كما وقعها عن الإمام القاضي محمد راغب بن توفيق وزير خارجيته^(٣) . ولم تنشر (الإيمان) نصّها كاملاً إلا بعد ستة أشهر (أي بعد تبادل وثائق التصديق)^(٤) وكانت افتتاحيتها في ذلك العدد ترحيباً :

-
- (١) انظر : كتاب (الدكتور) سالم : ٣٦١ - ٣٨١ ؛ المنار واليمن : ١٣١ - ١٦٨
- (٢) يعتبر السير بيرنارد رايلي (Sir B.R.REILLY) من أخطر وأكفأ الضباط في الإدارة الاستعمارية البريطانية ، وكانت معظم حياة خدمته في عدن ، فبعد أن خدم في المحمية بدرجة عقيد ، عُيّن مقيماً سياسياً بالنيابة من سنة ١٩٢٥ - ١٩٢٦ ثم (مقيماً سياسياً ٢٦ - ١٩٣٧) وأخيراً مُنح لقب (سير Sir) وعين حاكماً (والياً) من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٤٠ وكان أول من حمل لقب الحاكم منذ احتلال عدن سنة ١٨٣٩ ، وكان الممثل المقيم قبل ذلك يتبع إدارة مستعمرة الهند ، فأصبح بعدها تابعاً لوزارة المستعمرات في لندن مباشرة .
- (٣) توفي المرحوم القاضي محمد راغب في صنعاء في عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م ولعله كان قد تجاوز الثمانين .
- (٤) العدد (٩٦) الصادر في جمادى الأولى سنة ١٣٥٣ هـ / سبتمبر ١٩٣٤ م .

« بقدم هيئة السّفارة المحترمة الواردة من حكومة بريطانيا » وكانت تلك البعثة (السّفارة) مكونة من عددٍ من المسؤولين البريطانيّين الذين حملوا معهم وثيقة التصديق على المعاهدة . وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى ٣ سبتمبر قابلت الهيئة بصورة رسمية الإمام يحيى ، وبعد أن ذكرت (الإيمان) مراسيم الاستقبال ثمّ مغادرة البعثة في اليوم التالي ، نشرت مباشرة النصّ الرسميّ للمعاهدة بموادّها السّبع في صفحتها الأولى والثانية ، وهو النصّ العربيّ المتداول والمعروف من يومها في كل الكتب والمصادر المنشورة حتى اليوم .

إن ما يهّمنا في بحثنا الذي اقتربنا من نهايته وبعد هذا التهيد - الذي ربما أطلنا فيه - هو ذكر أمرٍ قد أغفله أو جهله كلٌّ من كتب في تاريخ اليمن السياسيّ المعاصر ، وبالذات من عالّج منهم موضوع تلك المعاهدة وملابساتها . وهو أمرٌ على جانب بالغ من الأهمية لأنّ له علاقة بتحريم الرق ، فقد قدر لي قبل أكثر من عشر سنوات وأنا أعدّ رسالة الدكتوراه أن أراجع في لندن أرشيف الوثائق البريطانيّة ، وصوّرتُ فيما صوّرتُ عدداً من الوثائق ذات الصّلة باليمن ، ولم أجد حرجاً حينئذ من أن أطلب صورةً من النصّ الإنجليزي والعربي لتلك المعاهدة العتيقة التي جاء في نصّ آخر مادة فيها بكلّ اللّغتين ما يلي :

« .. كتبت هذه المعاهدة من نسختين باللّغتين الإنجليزيّة والعربيّة ، وإذا نشأت شكوكٌ في تفسير شيء من هذه الموادّ فالفرقان المتعاهدان السّاميان يعتمدان النصّ العربيّ ، حرّرت في صنعاء ... » .

ولَمَّا قَارَنْتُ النَّصِّينَ فِيمَا بَعْدَ لَفَتِ نَظَرِي بِدَايَةِ أَنْ فِي نِهَايَةِ الْعُنْوَانِ
الْإِنْجِلِيزِيِّ لِنَصِّ الْمَعَاهِدَةِ بَعْدَ عِبَارَةِ (مَعَاهِدَةُ صَدَاقَةٍ .. إلخ) عِبَارَةٌ :
With Exchange of Notes وهو مَا يَعْنِي مَلْحَقًا - هُوَ جُزْءٌ مِنَ الْمَعَاهِدَةِ -
تَمَّ بِمُوجِبِهِ (تَبَادُلُ الرِّسَالِ) لِتَأْكِيدِ الْإِتِّفَاقِ عَلَيْهِ .

وَجَاءَ فِي الصَّفْحَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ النَّصِّ الْإِنْجِلِيزِيِّ بَعْدَ تَوْقِيعِ الْمُمَثِّلَيْنِ
(مُحَمَّدٌ رَاغِبٌ وَالْمُسْتَرِ رَايْلِي) فِي نِهَايَةِ الصَّفْحَةِ الرَّابِعَةِ نَصَّ الرِّسَالَتَيْنِ
الْمُتَبَادَلَتَيْنِ بِرَقْمَيْ (1) وَ (2) وَقَدْ أَثْبَتَ نَصِّيهِمَا الْإِنْجِلِيزِي وَالْعَرَبِي فِيمَا يَلِي ،
مُشِيرًا إِلَى أَنِّي بَعْدَ الْاطَّلَاعِ عَلَى النَّصِّ الْإِنْجِلِيزِيِّ بَحَثْتُ عَنِ النَّصِّ الْعَرَبِيِّ
لِلرِّسَالِ الْمُتَبَادَلَةِ وَالْمُتَعَلِّقَةِ بِمَوْضُوعِ تَحْرِيمِ الرِّقِّ وَأُولِيَاتِهَا فَوَجَدْتُهُ فِي
الْأَرْشِيفِ أَيْضًا^(١) - كَمَا هُوَ مُثَبَّتٌ - .

وَلَمْ أَجِدْ تَفْسِيرًا لِإِغْفَالِهِ فِي الْكُتُبِ وَالْأَبْحَاثِ الْمُنَشُورَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ
فِيمَا نَشَرْتُهُ (الْإِيمَانُ) - (الَّتِي هِيَ فِيمَا أَظُنُّ الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ وَالَّذِي اضْطُرَّتْ
لِلرَّجُوعِ إِلَيْهِ) - ، رُبَّمَا اعْتِقَادًا بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ صَمِيمِ بُنُودِ تِلْكَ الْإِتِّفَاقِيَّةِ ، أَوْ
لَأَنَّ الْإِمَامَ يَحْيَى كَانَ قَدْ جَارَى الْبَرِيطَانِيِّينَ فِي تَبَادُلِ الرِّسَالِ دَوْمًا اقْتِنَاعًا
بَأَهْمِيَّةِ الْمَوْضُوعِ الَّذِي قَدْ يَسَبَّبُ لَهُ حَرْجًا مِنْ أَيِّ نَوْعٍ .

وَكَيْفَمَا كَانَ الْأَمْرُ فَمَا نَشَرَهُ الْيَوْمَ هُوَ مِنْ بَابِ التَّوْثِيقِ الَّذِي تَوَجَّهَ

(١) - Propose Slavery article (E 176/E 80/E 295/E 626/22/91).

- F.O.minute on slavery article. (E 29/22/91).

- Treaty Signed 11,th February: Return of British.

Missin: Imam's message to the King. (E 1072/E 995/22/91).

أمانة كتابة التاريخ وموضوعيتها ، أما نظام الرّق والعبودية فقد مَضَى في العالم عهدُهُ ومعه الإمامُ يحيى بثورة الدستور (١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م) بَلُّ ونظامُ حُكْمِ الإمامَةِ البغيض في اليَمَن نفسه بثورةِ السادسِ والعشرين من سبتمبر / أيلول ١٩٦٢ م المجيدة ، تلك سنة الله في خَلْقِهِ ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

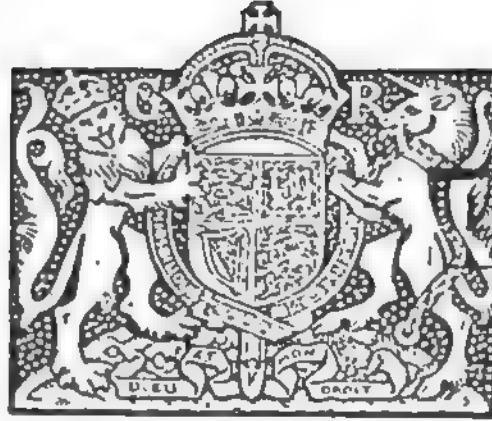


المعاهدةُ اليمنيةُ - البريطانيّةُ

ونصُّ (الرّسائل المتبادلة)

في منع تجارة الرّقيق وبيعه

(٢٥ و ٢٦ شوال ١٣٥٢ هـ / ١٠ و ١١ فبراير ١٩٣٤ م)



523
LAST COPY.

Yemen No. 1 (1934)

Treaty of Friendship and Mutual Co-operation

between

His Majesty in respect of the United Kingdom and of India
and the King of the Yemen

(With Exchange of Notes)

Sana, February 11, 1934

[The Treaty has not been ratified by His Majesty]

*Presented by the Secretary of State for Foreign Affairs
to Parliament by Command of His Majesty*

الصفحة الأولى (عنوان النص الإنجليزي)
متضمنة عبارة (تبادل الرسائل)

Exchange of Notes.

(1) *Lieutenant-Colonel Reilly to the Imam.*

Your Majesty,

I HAVE the honour to refer to my conversations with your Majesty's plenipotentiary relating to the present common desire of all enlightened nations to co-operate in the suppression of the slave trade, and to enquire whether your Majesty will enable me to convey to His Britannic Majesty's Government your Majesty's assurance that you will by every possible means assist them in their endeavours to prevent the African slave trade by sea.

(Respects.)

B. R. REILLY,
*His Britannic Majesty's Commissioner
and Plenipotentiary.*

Sana, February 10, 1934 (Shawwal 25, 1352, A.H.).

رسالة المستر (ب . آر . رايلي) ممثل الملك جورج إلى الإمام يحيى في
الأصل الإنجليزي وفي الصفحة المقابلة نصها العربي الرسمي الموقع عليه

من المندوب المفوض لجلالة ملك بريطانيا العظمى الى جلالة ملك البحرين والامام يحيى بن محمد حميد الدين
ابو له

يا صاحب الجلالة

لي الشرف ان اشير الى محادثتي مع مندوب جلالتكم المفوض المتعلقة بالرغبة
الحاضرة عند جميع الاعمم المتشور في الاتحاد لاتحاد تجارة الرقيق والاستغناء
عما اذا كنتم جلالتكم تملكونني من تبليغ حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى
تلكيات جلالتكم في مساعدة ترابكل ما لديكم من الوسائل في سعي المنع بجارة
الرقيق الاقربقي عن طريق البحر .

وتفعلوا بقبول فائق احتراماتي سيدي

صحيح بي ار رايلي

المندوب المفوض لجلالة ملك بريطانيا العظمى

صنعا ، ١ بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٢٤ لسنة الواقي ، شوال ١٣٤٢

Certified true copy.


Resident etc.

من المندوب المفوض لجلالة ملك بريطانيا العظمى إلى جلالة ملك اليمن
حضرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين أيده الله
يا صاحب الجلالة

لي الشرف أن أشير إلى محادثتي مع مندوب جلالتم المفوض المتعلقة
بالرغبة الحاضرة عند جميع الأمم المتنورة في الاتحاد لإخماد تجارة الرقيق
والاستفسار عما إذا كنتم جلالتم تمكنوني من تبليغ حكومة جلالة ملك
بريطانيا العظمى تأكيدات جلالتم في مساعدتها بكل مالدكم من
الوسائل في سعيها لمنع تجارة الرقيق الإفريقي عن طريق البحر .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي سيدي

صحيح بي آر رايلي

المندوب المفوض لجلالة ملك بريطانيا العظمى

صنعاء : بتاريخ ١٠ فبراير سنة ١٩٣٤ الموافق ٢٥ شوال سنة ١٣٥٢

(2) *The Imam to Lieutenant-Colonel Reilly.*

In the Name of God the Merciful and Compassionate

After tendering our sincere respects, in reply to your esteemed note dated the 25th Shawwal, 1352 (corresponding to the 10th February, 1934), wherein you expressed a desire to have assurances from our Government as to the prohibition of the slave trade, we inform your Excellency that we agree to the prohibition of the African slave traffic, and we will command all our Amils (Governors) to do their utmost to prevent it in all the Mutawakkili (Yemen) country and ports.

(Respects.)

(L.S.)

Sana, Shawwal 25, 1352, A.H. (February 10, 1934).

النص الإنجليزي لرد الإمام يحيى ، وفي الصفحة المُقابِلة نص الرد
بالعربية مهوراً في أعلاه بخاتمه

بسم الله الرحمن الرحيم



حضر صاحب العادة الشريفة الموقر السيد الميرزا علي والي عدن المحترم بندي بهت الكامل
الاحترام وجواباً لمحرك العالي الموجه بالمشكلة الحادية بيان ما ترغبون فيه من الايضاح عن تكايد
حكومتنا في منع تجارة الرق نحن نفيد جابكم العالي انا نوافق على منع بيع الرقيق الا فرغى دستار
كافة عما لنا يذلل الجدة من جميع البلاد والمواني المتوكلة وتقبلوا منا مزيد الاحترام تحريزاً في ٢٦ جمادى

مُلْحَق

بأسماء المشهورين من الأمراء العبيد في عهدي المهدي
عبّاس والمنصور علي

ملحق

بأسماء المشهورين من الأمراء العبيد في عهدي المهدي عباس والمنصور علي

(رقم الصفحات الواردة كما هي في كتابنا مئة عام ..)

- ألماس (بلسة) : ٢٦٠
- ابن بقرط : (صهر الأمير زياد) : ١٠٥
- توفيق (المتوكل) : ٢٠٥ ، ٢١٦
- توفيق (الدنوة) : ٣٢٩ ، ٣٢٥
- توفيق (الحاج) : ٢٠٢
- جار الله (النقيب الأمير) : ٢٩
- جوهر (النقيب) : ٦٦
- حسن بن يحيى علي سعد : ٢٥٨
- خير (النقيب - أمير الحرس وأمير البساتين) : ٢٦١ ، ٢٨٥ ، ٣٠٤
- رزق الله (الأمير عامل الحديدة) : ٨٥
- ربحان (النقيب) : ٦٦ ، ١٠٨
- زياد (الأمير) : ١٠٣ ، ١٠٥
- سرور (الأمير) : ٦٦ ، ٦٩ ، ١٠٤
- سعد (الأمير العلفي) : ٦٦
- سعد علي : ٢٥٦
- سعد يسر (الأمير والي الحديدة) : ٣٠٢ ، ٣٢٧
- سندراوس (الأمير) : ٥٨ - ٥٩
- ضرغام (عبد المنصور علي) : الشوكاني : - البدر الطالع : ٢ ، ٣٩٧

- عبد الله جوهر : ١١٧
- علي فتح سرور (الأمير) : ١٠٩
- علي بن مسعود الماس : ١٩٥
- علي يحيى سرور : ١١٧
- عنبر المهدي (الأمير) : ٤٨ ، ٧٧
- فتح فيروز (النقيب) قائد حرس القصر : ١٩٢
- فتح محمد عبد الهادي (الحاج الأمير) : ٢٩٩ ، ٣٠٣ - ٣٠٤
- فرحان ياقوت المهدي (الأمير) : ١٣٧ ، ١٥١
- فيروز أحمد المتوكل (الأمير) قائد عسكري : ١٦٥ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ،
٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨
- الماس (بلسه) : ٣٦٠
- محمد طاشخان (أمير بئر العزب) : ٢٦٢ ، ٢٢٧
- مرجان صنعاني (الأمير) : ١٠٩
- مشرح (أحمد) : ٢٠٩
- ميسور (الأمير قائد عسكري) : ١٣٥ ، ١٨٩
- ناجي المنصور علي (الأمير) : ١٠٨
- نصر الله (النقيب) : ١٦٢
- ياقوت محمد المنصور (الأمير) : ١٦٧
- ياقوت المهدي عباس (الأمير) : ١٠٨

فهارس الكتاب

- ١ - فهرس الأعلام
- ٢ - فهرس الأماكن
- ٣ - فهرس الأقوام والقبائل والجماعات والأسر
- ٤ - قائمة بعض المراجع المختارة
- ٥ - فهرس الموضوعات

الأعلام

- أ
- أبراهيم لينكولن : ٨٥ ، ٨٦
 إبراهيم الثالثي (شيخ الحديد) : ٤٨
 إبراهيم بن محمد ألماس : ٥٩
 إبراهيم بن محمد بن علي : ٢٥
 أحمد بن أزدسر (نجم الدين الأمير) : ٤٤
 أحمد ألماس عبد الرحمن (الأمير) : ٦٠ ، ٦١
 أحمد بن عبد الله حنش (المؤرخ) : ٥٥
 أحمد بن علي (المتوكل الإمام) : ٦٠
 أسد الدين الرسولي : ٤٣
 أسعد بن شهاب الصليحي : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢
 أسعد بن أبي يعفر (الأمير) : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤
 أسماء بنت شهاب الصليحية : ٣٠ ، ٣٢
 إسماعيل (المتوكل على الله ، الإمام) : ٢٦ ، ٥٤ ، ٥٥
 إسماعيل (خديوي مصر) : ٩٢
 أفلاطون : ٧٥
 ألماس بن عبد الله الحبشي (الشيخ) : ٦١
 ألماس المهدي (مملوك المهدي عباس) : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢
 أنيس الفاتكي : ٣٣
- ب
- باشه (مملوك محمد البدر) : ٩٤
 برسباي الكردي : ٥٠
- برو (مملوك محمد البدر) : ٩٤
 بطرس الأكبر الروسي : ٧١
 بطرس (حواري عيسى) : ٨٢
 بكتمر السيفي : ٣٩
 أبو بكر الصديق : ١٤
 بنيان (مملوك المطهر شرف الدين) : ٥٤
 بولس (حواري المسيح) : ٨٢
 بيبس الجاشنكير (ركن الدين) : ٤٥
- ت
- توران شاه الأيوبي : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩
 توماس نوول بكستون : ٨٢
- ج
- جار الله (مملوك المهدي عباس) : ٦٢
 جان جاك روسو : ٦٧ ، ٨١
 جان دي لاروك (مستشرق) : ٥٧
 جراح بن بشر : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦
 الجندي (المؤرخ) : ٢٩
 جورج (ملك بريطانيا) : ٩٨
 جورج واشنطن : ٨٤
 جوستاف لوبون : ١٥
 جوهر (مملوك بني زريع) : ٣٧
 جوهر (مملوك المطهر شرف الدين) : ٥٤
 جوهر المعظمي : ٣٨
 جوهر (مملوك المنصور) : ٦٣

جياش بن سليمان السبتي الرسولي: ٤٧، ٤٨
جياش بن نجاح: ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٤

ح

الحريري (صاحب المقامات): ٣٥
الحسن بن أحمد الحيمي (المؤرخ): ٢٦
الحسن بن سلامة (مملوك تويي): ٢٧
الحسن بن القاسم (الأمير): ٦٣
حسين الكردي: ٤٩، ٥٠
حماد البربري (مولى الرشيد): ٢٠
حمود شريان (الشيخ): ٩٣
حمود شميلة (الحاج): ٩٣

خ

الخزرجي (المؤرخ اليمني): ٢٩

■

الدعام بن إبراهيم: ٢١، ٢٢
ابن الذبيح - عبد الرحمن بن علي - (المؤرخ): ٢٤،
٢٩، ٣٣، ٤٧، ٤٨

ر

رايلي - برنارد - (حاكم عدن): ٩٨، ١٠٠
رشيد (عبد مملوك): ٢٧
ريحان (مملوك المنصور): ٦٣
ريحان بن سعيد (مملوك): ٥٣
ريحان الصلاحي (الأمير): ٤٩

س

سرور (مملوك المنصور): ٦٣، ٦٤
سعد (مملوك العلفي): ٦٤
سعد بن زياد (مملوك المنصور): ٦٤
سعيد ربحان (النقيب المملوك): ٦٤
سعيد بن فرحان (النقيب): ٥٥

سعيد بن نجاح الأحول: ٣١، ٣٢، ٣٣

سلطان الحبشي (مملوك): ٥٨

سلطان حسن (مملوك): ٥٨

سلم (السلطان العثماني): ٢٠، ٣٩، ٥٣

سليمان القانوني (السلطان): ٧٨

سندروس الحبشي (مملوك): ٥٨

سنقر (مملوك): ٣٩

السيدة بنت أحمد الصليحي (زوج المكرم): ٣٢،

٣٣

سيف بن ذي يزن: ١٩

ش

شمس الخواص: ٣٩

ص

صلاح الدين الأيوبي - يوسف بن أيوب: ٣٦، ٣٧
الصليحي (الملك حاكم صنعاء) = علي بن محمد
الصليحي -

صمصام (مملوك الإمام يحيى): ٩٣

ض

ضرغام (مملوك المنصور): ٦١

ط

طقتكين بن أيوب (سيف الإسلام): ٣٧، ٣٨،
٣٩، ٤٠

طومان باي (السلطان المملوكي): ٣٩

ع

عامر بن طاهر (الظافر): ٤٧

عامر بن عبد الوهاب بن عامر بن طاهر: ٤٧،
٤٩، ٥٠

عباس (المهدي الإمام): ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٥

عبد الكريم رافق (الدكتور المؤرخ): ٧٧

ف

فارس (مملوك المظفر): ٤٤
فاتك بن محمد: ٣٣
فتح الهادي: ٥٨
فرج جيري: ٤٨
فرحان صالح (مملوك): ٥٨
فرحان عبد الله (مملوك): ٥٦
فولتير (الفرنسي): ٨٠
فيروز المتوكل: ٥٨
فيروز (مملوك المنصور): ٦٣

ق

القاسم بن محمد (الإمام): ٥٤
قوسم (السيد): ٩٤

ك

كارستن نيبرور (الألماني): ٦٢
كافور الإخشيدى: ٢٧
كليافوراه باس (طالبة إفريقية): ٨٠
ابن كيالة (مولى آل يعفر): ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥

ل

لطف الله جحاف (المؤرخ): ٦٣، ٦٥

م

مارتن لوثر كنج: ٨٦
مبارك شعبان (النقيب): ٥٤
مبروك (مملوك البدر): ٩٤
المجاهد الرسولي: ٤٤
ابن المجاور (المؤرخ): ٣٦
محمد (عليه السلام): ١٤
محمد بن أحمد (المهدي): ٥٧
محمد بن إسماعيل الأمير (العلامة): ٥٩، ٦٠

عبد الله (مملوك البدر): ٩٤

عبد الله بن حمزة (الإمام): ٣٩

عبد الله الصليحي: ٣١، ٣٢

عبد الله بن عباس (الإمام): ٥٨، ٦١، ٩١

عبد الملك بن عبد الوهاب (الشيخ): ٥٠

عبد الوهاب بن عامر بن طاهر (المنصور): ٤٧

أبو عبيدة بن الجراح: ١٦

عثمان الزنجيلي: ٣٩

عثمان بن زيد (مملوك): ٥٥

عج بن حاج: ٢٥

علي بن أحمد بن إسحاق (الإمام): ٦٤

علي البليلى (الباشا): ٩٢

علي بن حسين خفم (القائد): ٢٢

علي بن طاهر (المجاهد): ٤٥، ٤٧، ٤٨

علي بن عباس (المنصور، الإمام): ٥٦، ٥٨، ٦٠

٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٩

علي فتح سرور: ٥٨

علي بن الفضل (القرمطي): ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٦

علي بن محمد الصليحي: ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣

٣٦

علي بن مهدي الحميري الرعيني: ٢٨، ٣٣

عمارة الحكيم اليميني (المؤرخ): ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٣

عمر بن أيك (الدويدار): ٤٥

عمر الجبني: ٤٩

عمر بن الخطاب (رض): ١٦، ٨١

عمر بن علي بن رسول: ٤٣

عمران بن محمد بن سبأ (المكرم): ٣٧، ٣٨

عمرو بن العاص: ٨١

عنبر (مملوك البدر): ٩٤، ٩٥

عنبر المهدي (مملوك المنصور): ٦٣

محمد أنيس (المؤرخ): ٧٥

محمد البدر (ابن الإمام يحيى): ٩٤

محمد بن بشر: ٣٦

محمد البليلى (الشيخ): ٩٢

محمد تلهما (الحاج): ٩٣

محمد راعب بن توفيق: ٩٨، ١٠٠

محمد زيادة (الدكتور المؤرخ): ٧٥

محمد بن سبأ (المعظم): ٣٧

محمد بن سليمان بن جياش السنبللي: ٥٠

محمد بن عبد الله الوزير: ٦١

محمد علي باشا (والي مصر): ٥٤

محمد بن علي الشوكاني (الإمام): ٦٠، ٦١

محمد بن القاسم (المؤيد): ٤٤، ٥٤

محمد بن قلاوون (الناصر): ٤٥

محمد بن محمد تلهما: ٩٣

عمود الثاني (السلطان): ٧٨

مرجان (مملوك حبشي): ٢٧، ٢٨

مرجان الظافري: ٤٩

المستنصر بالله العبيدي الفاطمي: ٣٠

المسعود الرسولي: ٤٦

مصباح السدوسي: ٢٨

المطهر شرف الدين: ٥٣، ٥٤

مظفر بن حاج: ٢٥

المظفر الرسولي: ٤٤

معاوية بن أبي سفيان: ٥٨، ٥٩

المعز بن طغتكين الأيوبي: ٤٠

المكرم بن علي الصليحي: ١٧، ٣٠، ٣٢، ٣٤

ملاحظ بن عبد الله الرومي: ٢٥، ٢٦

من الله الفاتكي: ٣٣

موسوليني (حاكم إيطاليا): ٨٨

مونتسكيو (الأديب الفرنسي): ٨٠

ن

نابليون بونابارت: ٨١

ناجي (مملوك المنصور علي): ٦٤

الناصر بن محمد: ٥٣

نجاح الحبشي (مملوك): ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٤

نقيس الحبشي (مملوك): ٢٧، ٢٨

هـ

هارون الرشيد: ٢٠

هارييت بثرستو (الكاتبة): ٨٤

هلدري: ٢٩

الهمداني (العلامة المؤرخ): ٢١

هنري لورنر (الأمريكي التاجر): ٧٣

و

وردشار (الأمير الكردي): ٣٩

ابن الوزير (المؤرخ): ٦٣

ولبر نورس: ٨٢

ي

ياسر بن بلال بن جرير: ٢٨

ياقوت أحمد الحبشي (مملوك، علامة): ٦٠، ٦١

ياقوت التعزي: ٣٩

ياقوت المهدي: ٥٨

يحيى بن الحسين الرسي (المهادي): ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٩

٢٩

يحيى حميد الدين (الإمام): ٦٩، ٩١، ٩٢، ٩٣

٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠١

يحيى السحولي: ٥٩

يحيى العلفي: ٦٥

يسر بن ألماس (مملوك المنصور): ٦٤

يوسف بن القفل: ٤٧

فهرس الأماكن

أ

- آسيا : ٨٠ ، ٨٧
 آسيا الوسطى : ٨٨
 أبين : ٣٦ ، ٤٥
 أثيوبيا (وانظر الحبشة) : ٨٨
 أرحب : ٢٢
 أفريقية : ٦ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٢
 الأمبراطورية البريطانية : ٨٣ ، ٨٥
 أميركا (الولايات المتحدة الأمريكية) : ٦ ،
 ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦
 أميركا الجنوبية : ٧٢ ، ٨٠
 أميركا الوسطى : ٧٢
 الأندلس : ٧١ ، ٧٢
 أنغولا : ٧٢
 أوروبية : ٦ ، ١٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ،
 ٨٣

ت

- إيران : ٨٧
 إيليتوى (في أميركا) : ٨٥
 ب
 البحر الأحمر : ٤٩ ، ٨٨ ، ٩٣
 البرتغال : ٧١
 برط : ٩٣
 تركيا : ٨٧
 تشارلستون : ٧٣
 تعز : ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٩١ ، ٩٣
 تهامة : ٣٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ،
 ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤
 تهاو زيب : ٢١

تهامة عسير: ٢٣
تيئسي (ولاية أميريكية): ٨٦

ج

الجامع الكبير في صنعاء: ٦١
جامعة درم: ٨٠
جبل مسار: ٢٩
جيلة: ٣٣
جين: ٤٧
الجزائر: ٨٧
جزر الهند الشرقية: ٧٢
الجزيرة العربية: ١٣، ٥٤، ٨٨
الجنند: ٤٣
جنوب إفريقية: ٨٠

ح

الحبشة: ١٩، ٢٦، ٣١، ٣٨، ٥٤، ٨٨، ٩٣
الحجاز: ٢٠، ٢٥، ٣٠، ٥٤، ٥٦، ٩٢
الحجرية: ٣٧
حجة: ٢٣، ٢٤
الحديدة: ٤٨، ٤٩، ٦٤، ٦٥، ٩١، ٩٣، ٩٤
حراز: ٢٣، ٢٩، ٥٤، ٦٤
حصن تعز: ٤٤
حصن الدملة: ٣٧، ٣٨
حصن قيضان: ٣٢
حزموت: ٣٠، ٥٥
حيس: ٤٨

خ

خبان: ٩٣

د

دار الأيتام في صنعاء: ٩٤
دار الفتوح في صنعاء: ٦٣

دعان: ٩١

دهلك الحبشة: ٣٠، ٣٢

ذ

ذمار: ٢٤، ٢٥، ٤٤، ٥٧

ر

رمع (وادي): ٩٤
روديسيا (زمبابوي): ٨٠
روسيا: ٧١
روما: ٩٤
ريدة: ٢١، ٢٢
رعية: ٦٥

ز

زييد: ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣

٣٤، ٣٥، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩

٥٠، ٦٤

زمبابوي = روديسيا: ٨٠

زنجبار: ٨٧

س

ساحل إفريقية الغربي: ٧٢
ساحل آسيا الصغرى الغربي: ٧٦
سرؤدد: ٢٥، ٩٤
سنغامبيا: ٧٢
سهام (وادي): ٩٤
السواحل الإفريقية: ٧١
سواحل البحر الأسود الجنوبية والشرقية: ٧٦
السودان: ٨٧
سور صنعاء: ٩٤
سيراليون: ٨٠

ش

الشام: ١٣، ٢٠

شباب : ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤	قدم : ٢٤
الشرق (من العالم) : ١٥ ، ٦٧ ، ٦٩	القسطنطينية : ٧٥
الشعر : ٣٢	قصر الإمام في صنعاء : ٦٠ ، ٦٢
الشمال الإفريقي : ٧٢	قناة السويس : ٩١
صعدة : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣	ك
صنعاء : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٧	الكدراء : ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٦
٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢	كمران : ٤٩
٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩	الكونغو البلجيكي : ٨٨
الصين : ٨٨	ل
ط	لحج : ٤٥
طيبة : ٥٤	اللحية : ٥٠
ع	لندن : ٩٨ ، ٩٩
العالم الإسلامي : ٦ ، ١٩	ليبريا : ٨٨
العالم الجديد = أميركة .	م
العالم العربي : ١٩	ماجل الأمير : ٩٤
عثر في تهامة عسير : ٢٣ ، ٢٥	مالطة (جزيرة) : ٨١
عدن : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩	المجر : ٧٦
٥٤ ، ٥٩ ، ٩٢ ، ٩٨	الحا : ٣٨ ، ٥٥ ، ٦٤
العراق : ١٣	مخالف ذمار : ٢٤
العز (دار الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي) : ٣٣	مخالف صنعاء : ٢٤
عسير : ٩١	المدينة النبوية : ١٦
غ	مذبحرة (الين الأسفل) : ٢١ ، ٢٦
الغرب (من العالم) : ٦ ، ١٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٥	المستعمرات البريطانية : ٨٢
غرناطة : ٧١ ، ٧٢	مسجد التقوي بصنعاء : ٥٨
ف	المشرق العربي : ٨٧
فرنسا : ٨٠ ، ٨١ ، ٨٧	مصر : ١٣ ، ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٥ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٤
ق	المغرب العربي : ٨٧
القحمة : ٤٦	المقرانة : ٤٦
القدس : ١٦	مكة المشرفة : ١٣ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٤٦ ، ٥٦

مفيس (في أمريكا): ٨٦
المملكة العربية السعودية: ٩٧
المنيرة: ٩٤
المهجم: ٢٥، ٢٦، ٣١، ٤٦
المواهب (في زمار): ٥٧
مؤر: ٢٦، ٥٠، ٩٤
مؤزغ: ٤٧

ن

نيوبورت: ٧٣
نيويورك: ٧٣

هـ

الهند: ٣٣

و

ورور: ٢٢
الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة
الأميريكية: ٨٤، ٨٥، ٨٦
الولايات الشمالية في الولايات المتحدة
الأميريكية: ٨٤، ٨٥، ٨٦

ي

يريم: ٦٤
الين: ٥، ٧، ٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٣٠، ٣٦، ٣٩،
٤٣، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٩،
٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١
الين الأسفل: ٢١، ٢٧، ٦٣، ٩٧، ٩٨
الين الأعلى: ٤٥

الأقوام والشعوب والقبائل والأسر والجماعات

الآسيويون : ٧٠	أ	آل أبي راس : ٩٢
أشراف مكة : ٥٦		آل الرصاص : ٩٣
الإغريق : ١٣		آل زياد- بنو زياد- الزياديون : ٢١، ٢٥، ٢٨، ٣٥
الأكراد : ٣٩، ٤٠، ٤٤		آل الصليحي- بنو الصليحي- الصليحيون : ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٤
الألبانيون : ٧٧		آل طاهر- بنو طاهر- الطاهريون : ٤١، ٤٣، ٤٦، ٥٠، ٥٣
الأميريكيون : ٧٣		آل طريف : ٢٢
الإنكشارية : ٧٥، ٧٦، ٧٨		آل العلفي : ٦٥
أهل تهامة : ٩٤		آل العليبي : ٣٢
أهل السنة- السنيون : ٣٠، ٥٨، ٥٩		آل الغاشق : ٩٤
أهل الكتاب : ١٤		آل القاسم : ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٦٢، ٦٣، ٩٣
أهل مكة : ١٣		آل نجاح : ٢٨، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٥٧
الأوروبيون : ٦٩، ٧٩		آل يعفر- بنو يعفر- الحواليون : ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤
الأيوبيون : ٣٦، ٣٩، ٤٣		٢٤
ب		الأئمة الزيدية : ٢١
البربر : ٨١		الأتراك- الترك : ٢٠، ٣٩، ٤٨، ٥٣، ٥٤، ٥٥
البريطانيون : ٧٣، ١٠٠		٩٢، ٩١
البرتغاليون : ٤٩، ٧٢		الأحباش- الأحابيش : ١٩، ٢٠، ٢٦، ٣١، ٣٤
بنو حاتم : ٢٧		٤٨، ٣٥
بنو رسول- الرسوليون : ٤١، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧		الأروام في مكة : ٥٦
بنو زريع : ٣٦، ٣٧		الإسبانيون : ٧٢
بنو العباس- العباسيون : ٢٢		
بنو العنسي : ٤٩		
بنو مهدي : ٣٧		
بنو هاشم : ٢٠		

بيت دلال : ٩٣

بيت الزبيري : ٩٣

بيت السندار : ٩٣

بيت هيج : ٩٤

الصلحيون = آل الصليحي

ط

الطاهريون = آل طاهر

ع

العبيد : ٧ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٨ ،

٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ،

٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ،

٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،

٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤

عبيد آل نجاح : ٢٢

عبيد آل يعفر : ٢٢

العبيد الأحباش : ٢٦

العبيد الترك : ٣٩

عبيد تهامة : ٣٠

عبيد فشال : ٤٨

العثمانيون : ١٥ ، ٥٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٩١

العرب : ٥

عرب التهام : ٣٥

ف

الفرس : ١٣ ، ١٩

ق

القرامطة : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦

م

مذحج : ٢٤ ، ٤٤

المستعمرون : ٥

المسلمون : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٨١

المغول : ٢٠

الملاحون البرتغاليون : ٧١

ج

الجراكسة = الشركس

ح

الحزب الجمهوري في أميركا : ٨٦

حكم : ٢٥

الحزبيون : ٤٥

خ

الخصيان : ٢٨

ر

الرافضة : ٦١

الرومان : ١٣ ، ٦٩

ز

الزرائق (قبائل) : ٩٤

الزنج - الزوج : ٢٠ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٦

زنوج إفريقية : ٧١

زنوج البصرة : ٢٤

الزيدية : ٢٩

س

السباهية (فرسان) : ٧٨

السلافيون : ٧٧

السلميانيون : ٤٥

ش

الشركس - الجراكسة - الشراكسة : ٢٠ ، ٣٥ ، ٣٩

الشيعة : ٥٨

ص

الصحابة : ١٤ ، ٦١

هـ	الممالك: ٧، ٢٠، ٢٧، ٣١، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥٣، ٦٢، ٦٥، ٧٥	الممالك: ٧، ٢٠، ٢٧، ٣١، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥٣، ٦٢، ٦٥، ٧٥
	الممالك البحرية: ٣٩	الممالك البحرية: ٣٩
	الممالك البرجية: ٣٩	الممالك البرجية: ٣٩
	الممالك المصرية: ٤٨	الممالك المصرية: ٤٨
	الموالي: ٢٠	الموالي: ٢٠
و		
	الوثنيون: ١٤	الوثنيون: ١٤
ي		
	النصارى: ١٥، ٨٢	النصارى: ١٥، ٨٢
	اليمنيون: ٢٤، ٢٥	اليمنيون: ٢٤، ٢٥

قائمة بعض المراجع المختارة

- الباشا (د. حسن) :
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ١٩٦٩
- أنيس (الدكتور محمد) :
- الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ - ١٩١٤) القاهرة ١٩٨٦
- باخرمة = (أبو بكر) (أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله)
- تاريخ ثغر عدن (١ - ٣) تحقيق أوسكار لوفجرين ، لندن ، ١٩٣٦ .
- جحاف (لطف الله بن أحمد) :
- درر نغور الحور العين - مخطوط (دار الكتب المصرية) .
- ابن حاتم (الأمير بدر الدين محمد) :
- السمط غالي الثمن في الملوك من الغز باليمن تحقيق : د. ركس سميث ، سلسلة جب ١٩٧٤ .
- الحبشي (عبد الله) :
- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ؛ مركز الدراسات والبحوث - صنعاء ١٩٨٠ م .
- ابن حجر (أحمد بن علي بن محمد) :
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الفكر ١٣٨٩ هـ .
- الخزرجي (علي بن أبي بكر الحسن) :
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، (جزآن) ، سلسلة جب ١٩١١ .

- الرازي (أحمد بن محمد) :
- تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق : د. حسين عبد الله العمري ،
دمشق ١٩٨٢ ط (٢ :) .
- رافق (د. عبد الكريم) :
- بلاد الشام ومصر (من الفتح العثماني إلى حملة بونابرت) ط ٢ / دمشق ١٩٦٨ .
- دائرة المعارف البريطانية :
- Encyclo Paedia Britannica, London, 1979
- دائرة معارف القرن العشرين :
- محمد فريد وجدي
- ط ٣ (١٩٧١) ، دار المعرفة ، بيروت .
- ابن الديبع (عبد الرحمن) :
- قرة العيون في أخبار اليمن الميمون
- تحقيق : القاضي محمد بن علي الأكوع (جزآن) القاهرة (١٩٧٧) .
- زبارة (محمد بن محمد) :
- نيل الوطر (جزآن) القاهرة ، ١٣٥١ هـ .
- الشناوي (د. عبد العزيز محمد) :
- الدولة العثمانية (دولة إسلامية مفترى عليها) القاهرة ١٩٨٤ .
- الشوكاني (محمد بن علي) :
- البدر الطالع ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- عبد العال (د. أحمد) :
- الأيوبيون في اليمن ، القاهرة ١٩٨٠ .
- عمارة (اليمني) (نجم الدين ، أبو محمد ، عمارة بن أبي الحسن الحكيم) :

- تاريخ اليمن ، المعروف بالملفد في تاريخ صنعاء وزيد ، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع ، القاهرة (ط ٣) ١٩٧٩ .
- العلوي (علي بن محمد) :
سيرة الهادي يحيى بن الحسين
تحقيق : د. سهيل زكار ، دمشق ١٣٩٢ / ١٩٧٢ .
- العمري (د. حسين بن عبد الله) :
مئة عام من تاريخ اليمن الحديث ، دار الفكر - دمشق ١٩٨٤ (ط ٢ ١٩٨٨) .
فترة الفوضى وعودة الأتراك إلى صنعاء ، دار الفكر - دمشق ١٩٨٥ .
- المنار واليمن
(١٨٩٨ - ١٩٣٤ م)
دمشق - دار الفكر ١٩٨٨
- فشر (هـ . آ . ل .) :
تاريخ أوروبا (العصور الوسطى)
نقله إلى العربية : محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريفي (دار المعارف بمصر ١٩٦٦) .
- لوبون (د. جوستاف) :
حضارة العرب ، نقله إلى العربية : عادل زعيتر ، القاهرة (مطبعة عيسى الحلبي) ١٩٦٩ .
- المقريري (تقي الدين) :
- السلوك لمعرفة دول الملوك .
- الموسوعة الإسلامية (ط الإنجليزية) = (E.I) .
- الموسوعة العربية الميسرة دار نهضة لبنان ، بيروت ، ط ١٩٨١ .

- نيبور (كارستن) :

Niebuhr : Travels Through Arabia

- الهمداني (د. حسين بن فيض الله) :

الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، القاهرة ١٩٥٥ .

- والتر دوني (الدكتور) :

أوروبا والتخلف في أفريقيا سلسلة عالم المعرفة (١٣٢) الكويت ١٤٠٩ هـ /

١٩٨٨ م .

- وليم لانجر :

موسوعة تاريخ العالم (ط العربية ، القاهرة عدة طبعات) .

- يحيى بن الحسين :

غاية الأمان في أخبار القطر الياني (جزآن) .

تحقيق : د. سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٦٨ .

فهرس الموضوعات

المقدمة - بين يدي الكتاب	٥	العبيد في اليمن	٨٩
الإسلام والرق	١١	حق تاريخ تحريم تجارة الرقيق	
الإسلام والرق - العبودية	١٣	(١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م)	
العبيد بين عصرين		الإعلان اليمني - البريطاني	
الوسيط والحديث	١٧	في منع تجارة الرقيق (١٣٥٢ هـ /	
العبيد بين عصرين : الوسيط والحديث	١٩	(١٩٣٤ م)	٩٧
نفوذ المالك والعبيد		المعاهدة اليمنية البريطانية	
في دولتي بني رسول وآل طاهر	٤١	ونص الرسائل المتبادلة في منع تجارة	
الأمراء العبيد في العصر الحديث	٥١	الرقيق ويبيعه (٢٥ و ٢٦ شوال	
تجارة الرقيق بين الغرب والشرق		١٣٥٢ هـ / ١٠ و ١١ فبراير ١٩٣٤ م)	١٠٣
حتى نهاية القرن التاسع عشر	٦٧	ملحق	
العثمانيون ونظام العبودية	٧٥	بأسماء المشهورين من الأمراء العبيد في	
من القانون الأسود إلى الثورة الفرنسية		عهدي المهدي عباس والمنصور علي	١١١
والدستور الأمريكي (١٦٨٥ -		الفهارس	١١٥
١٧٨٩ م)	٧٩	فهرس الأعلام	١١٧
جهود دولية	٨٧	فهرس الأماكن	١٢١
		فهرس الأقوام	١٢٥
		فهرس المراجع	١٢٨